Divine Revenge with Epidemics in Ancient Iraq

Mohammad Alshahat

Abstract

The ancient Iraqis interpreted the problems of their environment as a heavenly revenge, which included epidemics, famines, floods, etc.

The main source is the story of Atraḫsis, the Babylonian priest who mediated between humans and his god to save humans. His story comes in three fired clay tablets, in cuneiform and Babylonian dialect of the Akkadian language. The 1st tablet talks about the gods' revenge with epidemics, 1200 years after the creation of the first human being, where the numbers of humans increased and their clamor and noise rose, so that the advisor of the gods Enlil was unable to sleep, so he called the council of the gods, who decided to inflict epidemics on humans.

This is the first thought to reduce the overpopulation of the world, and the gods brought pain, disease and pestilence to humans, whom turned to their wise man, Atraḫsis, who in turn prayed to his god Ea-Enki, the Lord of wisdom, so he advised him that humans rebel and revolt against all gods, but only to care about the god "Nimtar", the Lord of epidemics and diseases, build him a temple, and sacrifice for him, that may delight him, to lift his hand from them. Then, the epidemic rises and lifted Humans and they began to recover from its effects. This is how the ancient Iraqis interpreted the disease as being strucked by the hand of a god, a ghost or an imp, which they expressed with the word: Lamashtu, which has remained until now in our Arabic heritage. The epidemic was raised priests or the diviner and Shaikh until now.

الانتقام بالأوبئة والأمراض في فكر العراقيين القدماء

محمد الشحات شاهين

أستاذ، رئيس قسم الآثار الأسبق، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر

الملخص

يركز البحث على حقبة من الزمن، تتمثّل في العصور الإسلاميّة المزدهرة، التي امتدّت إلى أكثر من ألف عام، ابتداء من البعثة النبويّة الكريمة، وانتهاءً بالعهد العثماني، كانت العلوم في تلك الحقبة من الزمن مزدهرة، بينما غيرها من البلدان التي لم تنل حظّاً من وصول الحضارة العربيّة الإسلاميّة إليها، كانت تعيش في خضمّ الجهل والبعد عن كلّ حضارة إنسانيّة.

كانت نظرة الشريعة للكوارث الطبيعيّة والأوبئة على أنّها تمثّل عقوبات إلهيّة لبني البشر، من جرّاء ما اقترفته أيديهم من معاصٍ وذنوب، إضافة إلى أنّها شهادة ورحمة للمؤمنين.

ولقد اهتمّ علماء العرب والمسلمين بالدراسة والتأليف في الكوارث الطبيعيّة والأوبئة والأمراض المعْدِيَة، ولاسيّما الأطبّاء منهم، وتركوا لنا تراثاً ضخماً يستحقّ كلّ تقدير.

وسوف أتطرّق في هذا البحث إلى أمرين؛ الأوّل في أسباب الأوبئة، التي كانت تحدّد بالسماويّة، والأرضيّة، وسنتحدّث عن تطوّر المفاهيم العلميّة لتلك الأسباب، وبداية الحديث عن الجراثيم.

والثاني في العلاج والاحتراز؛ وسأذكر فيه ما ورد عن أساطين الطبّ في ظل الحضارة العربيّة والإسلاميّة من العلاجات المختلفة التي كانت في زمنهم، وكذلك الاحتراز وسبل الوقاية من الإصابة بها، ولعلّ الكثير منها مازال هو المتّبع في عصرنا الحديث.

التوصيات: الاستفادة من السبل التي كانت متّبعة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وتطويرها بمقتضى العصر الحديث بما يتلاءم مع تطوّر التقنيات الحديثة في جميع مجالات الحياة؛ الطبّيّة والإعلاميّة والبيئيّة والنقل وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية: التراث الطبّيّ، الوباء، ابن سلّوم، الحَبّ الإفرنجي، العصور الإسلاميّة، ابن بُطلان، الهواء الوبائيّ، الرازيّ، لسان الدين، ابن سينا، الأنطاكي، قسطا، الجراثيم.

المقدمة

يمكن أن نقول: ما أشبه اليوم بعصور ما قبل التاريخ أو الميلاد! . طالعتنا صفحات التواصل الاجتماعي- مصدرنا الحيُّ المرئي والمسموع للتأريخ للقرن الحادي والعشرين بعد الميلاد- (2019-2020) بأنه ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، بظُلْمِ الدول الاستعمارية الكبرى لدول العالم الثالث، هكذا ربطت الغالبية العظمى من البشر وباء **كورونا** بذنوب الجميع ساكني المعمورة. وبدأت الدول الكبرى حتى العِلْمَانية بإذاعة الأذان لصلاة الأقليات من سكانها عبر مُكبرات الصوت لأول مرة في تاريخها، وأُضيئت أبراج الكنائس وقُرِعَتْ أجرَاسُها، وسُلِّطَتْ الأضواءُ على أيقونات المسيح -عليه السلام- وأمِّه العذراء. الكلُّ بعد الجائحة ينتظر أن يدعو له الآخر المختلف معه فكرياً ودينياً. وكأنَّ لسانَ حالنا يقول: "ليس لها من دون الله كاشفة". فإذا كان هذا حالنا في2020 بعد ميلاد المسيح -عليه السلام-، فما بالنا بأسلافنا في عصور ما قبل التاريخ أو ما قبل الميلاد، بيننا وبين بداية عصورهم التاريخية ما يربو على 5000 عام على الأقل، وكانوا بلا عقاقير أو أمصالٍ، أو حجر صحي بمفهومنا الحالي؟

أولاً- المرض عقاب إلهي

لا يُنكر أحدٌ معرفةَ العراقيين القدماء للأمراض وفنون التطبيب[1]. وقد آمنوا بأن الإنسان خُلِقَ من الطِّين غير المفخُور الهيِّن، وربما يدلُّ ذلك على مُلاحظتهم للسهولة التي يفقد بها الإنسانُ حياتَه خاصة في أثناء انتشار الأوبئة. وتصف النصوص موت الملك **أورنمّو** مؤسس أسرة أور الثالثة: "**أورنمّو** سقط على الأرضِ مثل إناءٍ مُحطَّم"[2]. وقد أرجعت غالبية النصوص المسمارية المرض إلى أحد الأرباب أو الأرواح الشريرة. كما خصَّ العراقيون الطب ببعض الآلهة؛ مثل إيا، وجعلوا المعبودة **جولا** حامية للطب، وإلهة للطب فهي: **ننآزو** $NIN.A.ZU^d$؛ بمعنى: سيدة العارف بالماء (الطبيب)، وكذلك **ننجيزيدا** ويُرمز له بالحيّة المُلْتفة على العصا، الذي مازال يستخدم رمزاً للطبِّ والدّواءِ في العالم[3]. لكنهم اعتقدوا أن المرض في معظم أوجهه عقابٌ من الآلهة نتيجة آثام البشر،

أو نتيجة عين شريرة من البشر. تشمل هذه الذنوب الجُنح والجرائم الخُلقية، الهفوات الصغيرة، وتجاهل أداء الطقوس الدينية، والتجاوز غير المتعمد على بعض المحرمات. يُشار إلى تدخل المعبودات مباشرة في نصوص تشريعات حمورابي وأحجار الحدود (**كودورو**) والمعاهدات السياسية التي تطلب من الآلهة إنزال جميع ضروب الانتقامات والعِلل المُميتة بحق منْ يُتلِف أو يُحَرِّف تلك الوثائق. ويستطيع الكهنة والأطباء تحديد يد (تدخُل) مختلف الآلهة من الأعراض الظاهرة على المرضى؛ حيث يمكن للآلهة أن تُطلِق الشياطين لتتمكن من الضحية فتصيبُه، ليهاجم كلُّ شيطانٍ عُضواً مُعيناً من الجسم، أو تجعل الضحية تخرُّ صريعة لنوبة يطلقها ساحر. وقد فسر العراقيون القدماء المرض أساساً كانعكاسٍ ظاهري لعَيْبٍ خِلقِيٍّ خفيّ، أو إشارة سوداء ولعنة تجعل الإنسانَ نجِساً من الناحية الروحيّة ليكون غير سليم جسديّاً. وبناءً عليه؛ فعلاج العِلة الروحيّة يكون ذا منحى سحري ديني، يتولاه الكاهن العراف **بارو** الذي يكشف الذنب الذي أغضب الآلهة، ثم يتكفل كاهن **أشيبو** بطرد الشياطين بالطقوس والتعازيم السحرية، واسْتعطاف الآلهة بالصلوات وتقديم القرابين[4].

طلب حمورابي في نصوص مسلة تشريعاته باستنزال لعنات الأرباب على من لا يحترمون كلماته عليها، أو يحرفون مضمونها، ومنها أن: "إله العالم الأسفل نرجال عساه يحرق قومَه، مثلما تعمل النار الهائجة في السفينة، . . . الإلهة **نينتو** عساها تسلُب هذا الرجلَ ميراثَه. و**نينكاراك** ابنة آنو إلهة الشفاء عساها تُبْلِيهِ بمرض شديدٍ لا يُشْفَى، وضرراً بالغاً وتقيُّحاً لا ينقى أبداً، ولا يَعرف سرَّه طبيب، ولا يخفِّفُ أَلَمَهُ ضمَادٌ، ويجعل حُزنَه مُميتاً لا يُستأصل، ويتورم جسمُه، ويبقى ينْدِبُ فُقدانَ رجُولتهِ حتى تخْبُو جذْوةَ حياتِه!"[5]. عدَّد النصُّ أعراضاً طبيّة تفصيلية ردَّهَا جميعاً لفعل الآلهة، ومثل هذه الدعوات يُلِحُّ عليها الحانِقُ والمُغْتَاظُ على سبب حنقه حتى الآن.

وعلى الرغم من من المعرفة العمليّة للعراقيين القدماء بالأمراض وعلاجاتها بالأعشاب أو الجراحات،[6] فإنهم اعتبروها من إحداث الآلهة والعفاريت، وأنها كانت عقاباً على الخطيئة، وهناك بعض العفاريت التي تسبب أمراضاً بعينها؛ حيث وصفت

بعض الأمراض بأنها "يد الإله" أو "يد الشبح" أو "يد عشتار" أو "يد شمش– أوتو" ؛ بما يشير إلى أن الإله أو العفريت كان مسؤولاً عنها، وحينئذ فإنه يقال: إن الإله أو العفريت قد تلبَّسَ الضحية[7]؛ ومن ثم فعلاجها مسؤولية الكهنة.

ومن طبعة ختم من العصر البابلي القديم يظهر **نرجال** سيد العالم الأسفل وهو عفريت برأس أسد، وبينهما شخص مخطئ يتعرض للعقاب ويقف على رأسه (قُلِبتْ حياتُه)؛ بما يشير إلى أن هذا الشخص قد تلبَّسه المرض[8]. ومن بين العفاريت ما يصيب الأم الحامل وكذلك الطفل وخاصة في الأربعين يوماً الأولى من عمره، وقد تعرضه للأذى، خاصة إذا تُرِكَ وحْدَه، مثل عفريت **بوزوزو** وكذلك **لماشتو**[9].

اعتبر الكهنةُ والسحرةُ الشياطينَ والأشباحَ سبباً للعدوى المرضية، وقد تخيل الأطباء الآشوريون فكرة معقولة عنها، وهي أن سبب الأمراض أجسام غير منظورة تدخلُ الجسم مع الهواء عن طريق التنفس (كعدوى كورونا الآن والكمامة خط الدفاع الأول لها)، أو مع الأكل والشرب عن طريق الجهاز الهضمي، أو مع الأوساخ عن طريق الجلد، وهذا هو التعليل السليم لما يوصف اليوم بالعدوى الجرثومية. وذكر الكهنة أن النجاسة سبب الأمراض الجسمية؛ بما يعني أنهم تصوروا العدوى سبباً لها. أما قولهم إن الأرواح تسبب المرض وتلحق الضرر بالجسم؛ فأغلب الظن أنه قصد ما يعنيه الطبيب العصري بالأمراض النفسية والعقلية[10].

الحجر الصحي: أدرك سكان الشرق الأدنى القديم ما يسمى بالحجر الصحي خاصة زمن الأوبئة، وها هو الملك **زمري– لم** حاكم مملكة **ماري** يبعث برسالة إلى زوجته الملكة **شيبة** šibtu في القرن الثامن عشر ق. م. يخبرها قائلاً: "بلغني أن السيدة **نانامي** قد أصابها المرض، وبما أن لها صلات عديدة مع أهل القصر، وتستقبل عدة سيدات في قصرها. لذلك يجب إصدار أوامر صارمة بعدم الشُّرب في الكأس الذي كانت تشرب فيه، ولا يجب أن يجلس أحدٌ على المقعد الذي تجلس عليه، أو ينام أحدٌ على السرير الذي تنام فيه. ويجب منعها من استقبال عددٍ كبيرٍ من النساءِ في بيْتِهَا؛ لأن مرضَهَا مُعْدٍ". مُعْدٍ= **صابتو** ṣabtu بالأكَّدية: أي مُمْسِك[11]. مثل ضابط = **صباتو** ṣabatu، ظابط في العامية

المصرية، والضبطُ والإحضَار. وفكرة بحثنا: الآلهة والمرض تسبيباً وتشخيصاً وعلاجاً، غير عمل الطبيب مع المرض العُضوي والعلاج العقلاني.

ثانياً- أسباب الأمراض

الخطايا: أوجبت خطايا الإنسان عليه نقمة الأرباب، وتنقسم الخطايا في فكره إلى قسمين:

1 – **الدينية:** تضم الخطيئة الدينية في المراسم والشعائر الدينية، وكانت أكثر خطورة وأوسع انتشاراً، ويطلق عليها في السومرية NIG.GIG، وتقابل في الأكدية ikkibu بمعنى: الكبوة. وكذلك anzallu بمعنى الإثم، النازلة. كما استعمل المصطلح السومري SE.BI.DA ليعبر عن الخطيئة الدينية أيضاً التي تثير غضب الأرباب، وتقابل في الأكدية: **خطو** ḫatu، ḫitu – **خطيتو** ḫititu، وهي مادة الخطيئة في اللغة العربية. كما يرادفه في الأكدية: **ايجو** egu بمعنى ذنب وعقوق، **شرتو**– šertu بمعنى الشر[12].

2 – **المدنية والسياسية والأخلاقية:** وتضم النطاق السياسي والأخلاقي، وقد أطلق عليها السومريون NAM.TAG؛ بمعنى المعصية المرتكبة ضد القوانين المدنية، ويقابله بالأكَّدية: **أنُّو** annu، و**أرنو** arnu: وتترجم بالإسَاءَة، وكانت تعني العقوبة والقصاص أيضاً. كما أطلق الأكَّديون لفظ **سلّاتو** sillatu: على الخطيئة السياسية؛ وتعني البذاءة (التَّسلُط؟؟)، ولفظ **جلّاتو** gillatu، **خبلاتو** ḫablatu؛ بمعنى نقض المعاهدة (خبلانة؟) في العاميَّة المصرية: من لا عقل له، فلا يُخْضَع لقواعد (كالمعاهدة؟)، وكذلك **لِموتّو** limuttu بمعنى الشر[13]. (اللائمة؟)

وهناك مثال على ذلك من دعاء موجه للمعبودة **عشتار**، يُعرف بدعاء رفع الأيدي (**نيش قاتي**)، ويَعْرِض فيه صاحبُه مختلف العقوبات التي حلَّت به بسبب خطاياه وذنوبه، ويقول النص:

68 – لأني لا أخاف إلهي أو إلهتي يقع على الضيق؟

فالشقاء والمرض والدمار والمصائب حلت بي،

والقلق أوهن همتي، والغضب المتفجر نصيبي،

حلت بي نقمة كل الآلهة وحنق كل الناس،

إني أعيش يا سيدتي، أيام الألم وأشْهُرَ الحزن وسِنِي الخيبة،

يا سيدتي، إن الخراب والاضطراب والهيجان يحيق بي،

لقد جعلت الموت والبؤس نهايتي!.

إن حاجتي ترهقني، ومذلتي تعذبني.

طالما أدار إلهي وجهه إلىَ مكان آخر،

تلاشت قواي، وانكسرت همتي وعنفواني.

لكني أتيت إليك، يا سيدتي، فأنا أحفظك في ذاكرتي،

إني أبتهل إليك، أن تمحي لعنتي،

امح إساءتي وذنبي arni وشري širti

وإثمي ḫablatiḪ وخطيئتي ḫititi

82 – تناسي خطيئتي واقبلي تضرعي[14].

هكذا بنوع من الخشوع يتضرع لإلهته لتكشف الضُّرَّ عنه ومن عنوان الترتيلة: رفع الأيدي، نستشف أنهم كانوا يرفعون أيديهم في توسلاتهم، التي مازالت إلى الآن تعبر عن التوسل والطلب والاستجداء. أو لسبب آخر غير منطقي كان الانتقام بالأوبئة.

انتابت العراقيين القدماء نظرة تشاؤمية– لا سيما حول الموتى والعالم الآخر– كانت جوهرية، رسخت جذورها في الظروف الطبيعية لبيئة بلاد النهرين؛ فهي بلد المُتغيرات الحادة والمُفاجئة، فما من شيء عندهم مُستقِرٌّ وراسِخٌ أو مُؤكّد، حياته وأفراد أسرته، تغيُّر ناتج حقله وماشيته، اختلاف مناسيب الفيضانات لدرجة الطوفانات وصعوبة التنبؤ بها،

فصار المستقبل مجهولاً في نظرهم. وعليه؛ فقد حاول الإنسان جاهداً ضمان الإرادة الخيِّرة للمعبودات بإقامة الطقوس والاحتفالات السنوية وطقوس الزواج المقدس وإعادة تثبيت الملوك، وتنتهي جميعها باجتماع الآلهة لقضاء المصائر، وبذلك قد يستعيدون ثقتهم بما حولهم باسترضاء المعبودات لعام آخر[15]. وهو ما نأمله بقولنا: عام طيب وسعيد، كلٌّ بلُغته.

تأتي الطاعة والخوف من الأرباب مدعاة لإطالة العمر – والأمثلة كثيرة – ومنها ما كتبه الملك الآشوري **تجلات بلاصر** الأول 1116– 1090 ق.م. متحدثاً عن **آشور– دان الأول** وورعه قائلاً: "إن منجزات يديه وقرابين عطاياه للآلهة العظيمة قد استمرت بلا انقطاع فطال عمره، حتى أدرك بياض الشعر"[16].

وكان لابد من التطهر لأداء الصلاة والنذور على خير وجه حتى يتحقق رضا الأرباب؛ حيث تؤدي النجاسة إلى تدخل العفاريت؛ ومن ثم إثارة الرعب[17]. إلى جانب وجود عدد من الالتزامات التي تنظم السلوك الديني والعلاقة بين الإنسان وهذه المعبودات، التي تتمثل في مجموعة من الواجبات والنواهي تغطي جميع مناحي الحياة، ومنها: عدم إلحاق الأذى بالآخرين وكذلك: "لا يجب القسم دون غسل اليد التي ترفع لأدائه، لا يجب ذكر اسم إله مع رفع فأس، ولا الشرب في كأس من طين غير مفخور(لم تُطَهِّره النَّار– تُعقِّمه)، أو اقتلاع غصن صغير في السهب، ولا التبول أو التقيؤ في سيل ماء، ولا انتزاع مدراة من حقل"، وكان من الصعب مخالفة الإنسان لواحدة منها[18].

ثالثاً- نماذج من الانتقامات

1 - مرض الإله إيا

تروي أسطورة سومرية جرت أحداثها على أرض **دلمون** فردوس السومريين (البحرين والإمارات) أن **إيا– إنكي** نفسَه قد أشرف على الموت؛ حيث دعت عليه الإلهة **نِنخُرْسَاج** بلعنة الموت إثْرَ غضبها؛ لأنه أكل ثمانية أصناف من النباتات كانت قد زرعتها هناك، ثم

اختفت حتى لا يؤثر عليها أحد فتتراجع عن قرارها. وتردَّت صحة **إنكي** واعتلّت ثمانية من أعضائه، وجلست الآلهة حزينة في الوحل عاجزة عن إنقاذه، حتى تدخل الثعلب ونجَحَ في إعادتها إلى مجمع الأرباب. فأجلسته بجانبها وأخذت تسأله عن علله، فذكر لها الثمانية، فخلقت إلهاً لشفاء كلِّ عضو، ولما شُفي إنكي عاد لمكانته بين الأرباب[19].

ربما عكست هذه الأسطورة الصراع بين مظاهر الطبيعة؛ فالمعبود **إيا** هو رب المياه العذبة والأنهار، التي ربما فاضت حتى جاءت على بعض المزروعات الخاصة بالمعبودة **ننخرساج** فماتت النباتات، فلعنته **ننخُرسَاج** لحظة غضبها فمَرِض، وكان من مظاهر مرَضِه على ما يبدو أن انْخفضَت مياهُه، والتي يمكن أن نستشفها من جلوس المعبودات حزينة في الوحل، حتى جاء الحلُّ على يد الثعلب المعروف بمكره وحيلته، التي يتفوق بهما عن غيره، فيحضر **ننخُرسَاج** التي تقوم بإشفاء **إيا**، الذي تعرض نفسه للانتقام بالمرض.

وتعكس القصة من أزمان مبكرة جداً علاقة الإنسان بالنباتات في مرحلة الجمع والالتقاط، ومن ثمَّ تعرف أيها مفيد كقيمة غذائية بداية، ولنا أن نتصور أن الكثيرين تعرضوا لوعكات صحية شديدة، وربما التسمَّم والموت لتناول نباتٍ غير مناسب؛ مثل **إيا** حيث لم يُخْلَق البشرُ بعد. تمثلت الخطوات التالية في أنه لاحظ راحة فسيولوجية بدنية بعد تناول نبات آخر اكتشف فائدته لهذه العِلَّة أو تلك، ومن هنا اكتسب خبرته مع الأعشاب والنباتات للتَّداوي بها، ثم إدخالها فيما بعد في التركيبات الدوائية. ونرى صورة لزيارة الطبيبة **ننخُرساج** للمريض **إيا**، فجلست إلى جانبه تسأله عن آلامِه، حيث يأخذ الطبيب معلوماته الأولى من المريض، ليبني عليها تحديد الدواء، ولكلِّ داءٍ (عُضوٍ) دواء، بما يعكس خبرة طبية وعلماً.

2 - الأوبئة على البشر في ملحمة أتراخسيس

أ- المصدر: مصدرنا الأساس للدراسة هو اللوح الأول من قصة الطوفان البابلية المعروفة بقصة **أتراخسيس**[20]، ويقرأ اسمه أحياناً **أترام خسيس**[21]، وهو واحد من البشر وقع على عاتقه إنقاذهم بفضل صلته الطيبة مع إلهه **إنكي- إيا** من محاولات الآلهة

لإهلاكهم، وهو كاهنه. ويعني اسمه: واسع الحكمة. ثَرِيُّ الحِسِّ: تكتب الأكَّدية الحاءَ خاءً تأثراً بالسومرية: حسيسٌ[22]. تتلخص مقدمة اللوح الأول في أن الآلهة الثانوية – قبل خلق الإنسان– كان عليها أن تعمل وتكدَّ وتتعب خاصة الآلهة الصغرى مثل مجموعة **إجيجي** الخاصة بالعالم السفلي، فأعلنوا التمرد بسبب معاناتهم من العمل الشَّاق، فأحرقوا فؤوسهم وأدواتهم، وتجمعوا أمام باب الإله **إنليل** – مستشار الآلهة في مجمع المعبودات[23]– في ثورة على هذا الوضع، فاستدعى إنليل **آنو** رب السماء، و**إنكي** رب الحكمة، وعرض عليهم أمر هذا التجمع[24]. فقرروا مجتمعين خلق الإنسان ليتحمل عن الآلهة عناء ومشقة العمل[25].

ب– **سبب الانتقام**: تناسل البشر بعد 1200عام من خلقهم الأول، وتضاعفت أعدادهم، فصاروا مصدر قلق للآلهة، ويذكر النص:

352 – ومضى 1200 عام،

وامتدت الأرض وتضاعف البشر،

والأرض تخور كالثور،

وقلق الإله لصخبهم،

وسمع إنليل ضجيجهم،

وأخبر الآلهة العظام:

"إن ضوضاء الإنسان باتت تقلقني،

359 – وبسبب صخبهم فقد حُرِمْتُ النوم"[26].

هذه أول محاولة من الآلهة (وغيرهم) للحدِّ من عدد البشر (تحديد النسل)، فهل كان خطأ الإنسان الضجيج الذي أحدثته الكثرة؟، أم كان ذلك يمثل تمرداً؟. قد يكون الرأي الأول صحيحاً؛ حيث إنها شابهت الضوضاء التي أحدثتها الآلهة الفتية في أسطورة الخليقة البابلية، وكان من نتيجتها حرمان الإله **أبسو** الراحة بالنهار أو النوم بالليل[27].

(آلهة كالبشر) هكذا تمثل خطأ الإنسان بصفة مبدئية في كثرة أعداده، وبصفة ثانوية في الضوضاء والصخب الناجم عن هذه الزيادة[28].

ج- تقرير الانتقام: تحكي الرواية الآشورية من قصة **أتراخسيس** كيف اقترح إنليل في مجمع الآلهة إحلال الطاعون، ويذكر النص:

9 - "ليكن هناك الوباء،

وليقض الإله **نمتار** على ضجيجهم،

لندع المرض والألم والوباء والطاعون،

تأتي عليهم كالإعصار"[29].

ويعير **أتراخسيس** مُخَلِّصُ البشر أذنيه لإلهه **إيا-إنكي**، ويسأله الحل لمواجهة هذا المصير، أو كما تذكر الرواية الآشورية:

23 - "أيها الرب، إن البشر يئنون،

إن مرضكم يلتهم الأرض.

أيها الرب **إيا** إن البشر يئنُون،

إن مرض الآلهة، يلتهم الأرض.

ولأنك خلقتنا،

28 - أَتُذْهِبُ عنَّا المرض والألم والوباء والطاعون"[30].

- عبر العراقيون القدماء في القصة عن المرض بكلمةmarṣu **مَرصو**[31] بالصاد، وهي كلمة: **مرض** في العربية[32]، حيث لا يوجد حرف الضاد في الأكَّدية.
- من هذه الأمراض ما أسموه في الرواية الآشورية: **ديو** [33] di-'u. وهو ما يُعرف في السومرية SAG.GIG؛ أي وجع الرأس أو الصُداع[34]. وربما يعني وباءً كانَ الصُّدَاعُ من أعراضه، ويترجم بالإنجليزية Sickness. يرى الباحث أنه يمكن مقاربة

كلمة di–'u الأكّدية بكلمة: **الدَّاء** في العربية؛ بمعنى المرض الظاهر أو الباطن، والمريض: **الدَّيِّي** [35]. وربما منها الدواء أيضاً فلكلِّ داء دواءٌ. وفي المصرية القديمة الكلمة نفسها idw بمخصِّص شارح للمعنى: علامة السماء تنزل منها الأمطار[36]. وكلُّنا للآن يعتبر الوباءَ نازلةً من السَّماء.

- من الأمراض التي تعرضوا لها أيضاً ما أسموه **شوربُّو**– šuruppu بمعنى: الوباء Plague[37]. ويُقصدُ به الوباءُ بمعناه العام، ويترجم بالبَرْدَاء؛ أي الحُمَّى المصْحُوبة بالقشعريرة، وأحياناً بالملاريا[38]. عرف الأكّديون الحُمَّى: ememu: حرارة، وفي السومرية: .KÚM[39] لم تُكتب الحاءُ لتأثُّر الأكّدية بالسومرية.
- أخيراً كان **أسَكُّو**– A.ZAG بالسومرية، وفي الأكّدية بصورة asakku، ويقصد به نوع من الشياطين أو الأرواح الشريرة، واستخدم اللفظ نفسه للتعبير عن المرض الذي تسببه هذه الشياطين[40]، يترجمه **لامبرت**: Pestilence [41]، وهو عفريت يهاجم الإنسان ويقتله، وبما يسبِّبه من حُمَّى الرأس[42].

د– الخلاص: يظهر المعبود **إيا–إنكي** ليضطلع بدوره في الوقوف إلى جانب البشر، حيث يجيب **أتراخسيس** عن وسيلة النجاة من ذلك قائلاً:

376 – "دع المنادين يعلنون،

واجعل ضوضاء كبيرة في الأرض،

لا تُبجِّلْ آلهتك.

ولكن ابحث عن باب **نمتار**،

واجلب الخُبْزَ المُحَمَّصَ أمامَه،

عسى أن تكون وجبة الدقيق مُبْهِجَةً له،

384 – حينئذ فإن الهدية ستجعله في حرج وسيترك الأرض" [43].

هكذا دعا **إنكي** البشر لإعلان التمرد ضد الآلهة الأخرى، إعلاميّاً بأن يجوب

المنادون الشوارع لإخبار البشر بالتمرد على الآلهة الذين أضروهم، تماماً كثورات الشعوب على حكامهم حين يئنون تحت ظلمهم وبؤسهم. مع جائحة **كورونا** عرفنا قيمة الأطباء ونعتناهم بالجيش الأبيض، وأُدِيّتْ لهم التحية العسكرية، وقُدّمت لهم النياشين، وطالبت بعض التشريعات باعتبار وفياتهم في الجائحة كشهداء المعارك بكل مميزاتهم المادية والمعنوية.

نصحهم **إيا** أن يبحثوا عن منفعتهم عند طرف آخر، بأن يرضوا **نمتار** المسؤول عن خلاصهم، لاسيما أن إرضاءه كان بأزهد العيش وأيسره، وأنَّ ذلك سيخْجِله. واستمع شيوخ المدينة للوصية وبنوا معبداً له في المدينة، وأشاعوا جلبة وضوضاءً فيها ولم يهتموا بالآلهة الأخرى، وأعدوا ما طُلِبَ مِنْهُم، فأخْرِجَ **نمتار** وتركَهُم الوباء [44]. و**نمتار** أحد الآلهة الصغرى، كان وزيراً للمعبودة **إرشيكجال**: (رئيس الأرض الكبرى): سيدة العالم الأسفل، وابناً لكل من **إنليل** وزوجته **ننليل**، حمل هذا الاسم أيضاً أحد العفاريت، كما كان نذيراً للموت، وأصل تسميته بالسومرية تعني: القدر أو المصير [45]. وهكذا فشلت أولى محاولات الآلهة لإنقاص عدد البشر على يد **إيا– إنكي** وكاهنه **أتراخسيس**.

السؤال: هل كان إنقاصُ عدد البشر سبباً للوباء؟. يعتقد الباحثُ أنه كان نتيجة للوباء بعد أن أمات الكثيرين وليس السبب، واعتباره السبب كان من الإضافات عليها، ولصبغِ صفاتِ البشر على الآلهة، لدرجة أن أزعجها ضجيجهم ولم يناموا. كلنا وصف الجائحة بالنازلة، كعلامة السماء؛ الشارحة لكلمة الوباء المصرية idw تنزل ماءً (لم ير منها غيره)، ودعَوْنَا أن يرفع الله عنَّا الوباءَ والبلاء؛ كالمرض الذي يُفَسَّرُ بيد إله أو شيطان أو روح خبيثة، والذي سينتهي بأن تُرْفع هذه اليد مثلما تركهم **نمتار**.

حلَّت أمراضٌ أخرى بالبشر في قصة أتراخسيس بسبب المجاعات لستِّ سنوات، التي قررها إنليل ثانية على البشر بتعطيل أسباب الزراعة، بعدم توفير المياه بمصادرها المختلفة، وقد أفاضت النسخة الآشورية في وصف حال البشر زمن المجاعات، ويستشف من تلك الأعراض المرضية أن العراقيين القدماء قد ميزوا فعلاً بين المرض العضوي وأسبابه وغيره بسبب تدخل القوى الخارجية، ويحكي النص أنه: "نزل مرض **أسكُّو** asakku على

النَّاس، فأصبحت الأرحامُ ضامرةً ولم تلِد مولُوداً. وعندما حلت السنة الثانية، أصبحوا يُعانون الحِكَّة. وعندما حلت السنة الثالثة، تشوهت ملامحُ الناس بسبب الجُوع. وعندما حلت السنة الرابعة، أصبحت سيقانهم الطويلةُ قصيرةً، وأصبحت أكتافهمُ الواسعةُ مُنْكمشةً، وأصبحوا يسيرون محدُوبين في الشارع. . . . وغطت وجوههم غشاوةٌ كالنَّبْتِ المُصفرِّ، وكان الناس أحياءً ولكن على حافة الموت "[46]. هذه الأوصاف السابقة يمكن أن نراها كاملة في صورة لأحد ضحايا المجاعات في إفريقيا وغيرها، من الحِكَّة بسبب جفاف الجلد (الاسقربوط؟)، والتقوس الملحوظ لأجساد الجوعى، واصْفِرَارِ الوجه وهو أول أعراض تشخيص الأنيميا حتى الآن. ثم يخلِّصهم إيا بطلب من كاهنه أتراخسيس، ليطلق لهم المياه خلْسةً، مبرِّراً ذلك بأن مزلاج البحر قد انْكسرَ.

3 - أيوب البابلي

رأينا أعلى من يئنُّ من الوباءِ لسببٍ واهٍ، والأغربُ أن يعاني إنسانٌ بلا ذنبٍ أو خطيئةٍ كالبابلي **شبشي مشري شكان** كما في قصيدة " **لأمتدحن ربَ الحكمة** "، حيث يُعدِّد آلامَه وأوجاعَه بسبب الأشباح والأرواح فيقول:

" لقد جعلت الحمى تدبُّ في أطرافي، وجعلت بدني يرتجف،

حطمت قوامي الممشوق مثلما يتحطم الجدار،

وحنت جسمي القوي مثلما تحني حزمة القصب. . .

وتلبَّس الشيطان **ألو** بجسدي كأنه رداء،

نومٌ يُطْبِقُ عليَّ كالشبك،

عيناي تُحدقان ولكن لا تبصران،

أذناي مفتوحتان ولكن لا تسْمعَان،

لقد استحوذ عليَّ الوهن،

جسمي يرتعِش،

والشّللُ غلَّ يديَّ،

وحلَّ العجزُ في رُكبتِي،

حتى نسيت قدماي الحركة . . .

آلامي أعجزتِ العزَّام (الكاهن **أشيبو**)

وفألي حيَّر العرَّافَ (الكاهن **بارو**)

فلا طاردُ الأرواحِ قادرٌ على تشخيص مرضي،

ولا العرَّافُ يدري مدى ينتهي سقمي .

لا إلهي يقدم لي العونَ فيأخُذُ بيدي،

ولا إلهتي ترحمني بالسير إلى جانبي،

قبري ينتظِرُني ولوازمُ الدفنِ جاهِزة،

أجل! لقد انتهت المناحةُ عليَّ قبل أنْ أمُوت "[47] .

ولكنه المؤمن بفرج الآلهة بعد عنائه، ليرى في المنام رسولاً من الإله **مردوخ** يحمل له البُشْرى بالخلاص، ثم يسرد تفاصيل شفائه واسْتعَادَة أعضائه حيويتها مُجدَّداً . ثم ينتهي حديثُهُ وقصيدتُهُ بتفاصيل ذهابه إلى مدينة بابل قاصِداً معبد مردوخ حيث أقام الصلوات له والذبائح والنُّذُور[48] . كمن نذَرَ حجّاً بعد شِفائه، كما أنها تذكرنا بصبر نبي الله أيوب، عليه السلام .

رابعاً - المنتقمون والمخلِّصُون

صبغت أساطير العراقيين القدماء آلهتهم بالعنف والبطش والشراهة للانتقام، والحقد فيما بينها حتى ممن تربطهم صلة قربى كالإخوة، وكذلك حقدها على البشر؛

مما يشير إلى أنها كانت خلاصة لفكر البشر البسطاء، الذين أضفوا على معبوداتهم هذه التصورات، ليعكس مؤلفوها بذلك صورة حقيقية عن الإنسان في حضارتهم[49]. كما تصوروا آلهتهم غير معصومة من الخطأ كالبشر تماماً، صحيح أنها عظيمة تتصف بالقوة والحكمة غير أنها من الممكن أن تخطئ، وتميزت العلاقة بين المعبودات والبشر في العراق القديم بما يشبه العلاقة بين السادة والعبيد، وما يشبه العلاقة العائلية بين الآباء وأبنائهم، التي وضحت بدءاً من أسرة بابل الأولى (1984 – 1595 ق . م) فكان الإله سريع الغضب، شديد الانتقام، قد تلطف الصلاة والنذور من غضبه، وكان الهدف من خلق الإنسان هو عبادة الآلهة ورفع عناء العمل عنها[50].

أ- المنتقمون

1 – **إنليل**: من الآلهة الكبرى في مجمع المعبودات السومري، وهو الذي فصل السماء عن الأرض، وهو المسيطر على الكون، وكان مركز عبادته في مدينته **نفر- نيبور**، عرف معبده باسم: E.KUR **إيكور**؛ بمعنى بيت الجبل.[51] ولما كان مسؤولاً عن العواصف والرياح فإنه عُرِفَ بالسومرية: **إنليل**، وبالأكَّدية: **إلليل**؛ بمعنى سيد الرياح. وكان سيداً للجبال والمسؤول عن تدمير وسقوط امبراطورية أسرة **أور** الثالثة وسقوطها؛ حيث دفع الجوتيين من الجبال[52]. ويعرف بملك الآلهة، وزوجته **ننليل**؛ بمعنى سيدة الهواء، ووزيره **نوسكو**. قدسه **الكاشيون** في مدينتهم **دور- كوريجالزو**، عقرقوف الحالية[53]. وقد تحمس للانتقام من البشر بالأوبئة والمجاعات والطوفان في قصة واحدة حتى إنه حزن لنجاة رجل الطوفان ومن معه. وقد شكل الجبليون من الشرق والشمال خطراً كبيراً على حضارة الشرق الأدنى القديم عامة والعراق خاصة وإلى الآن، فلا غرابة من تزعُّم سيدهم لهذا الدور الانتقامي سياسياً، على عكس الجبال التي حمت مصر القديمة.

كانت الرياح الشمالية الغربية أكثر الرياح هبوباً على العراق القديم، تهب في معظم أيام السنة بسبب وجود منطقة ضغط مرتفع فوق المنطقة الجبلية في الشمال مع منطقة ضغط

منخفض فوق الخليج العربي والهند؛ مما يجعلها تهب عليها بصورة منتظمة في الصيف، بينما تقطعها أعاصير البحر المتوسط في الشتاء وتساعد الرياح على تلطيف درجة حرارة الصيف. وتهب الرياح الشرقية والشمالية الشرقية عليها خلال الشتاء مصحوبة بانخفاض شديد في درجة الحرارة؛ مما يلحق الضرر بالمحاصيل الزراعية كالموالح والنخيل. تأتي الرياح الجنوبية رطبة ودافئة، تجلب الغيوم والأمطار شتاءً حيث تهب من الخليج العربي. وتهب في الصيف على الجنوب رياح جنوبية حارة ورطبة مما يحدث جواً خانقاً لقدومها من الخليج العربي، وقد تسبب بعض العواصف الترابية التي قد تتلف المحاصيل الزراعية وخاصة في الصيف، ويكون هبوبها خلال فصلي الربيع والصيف؛ حيث تكون الأرض جافة مع ندرة الأمطار؛ مما يزيد الإحساس بهذه العواصف المحملة بالغبار[54]. هكذا إنليل كسَيّدٍ للرياح يكون مسؤولاً عن الرياح التي قد تنقل الوباءَ من مكان إلى آخر، ثم التصحُّر ومن ثمَّ المجاعات، وأخيراً الأمطار فالفيضانات التي تزيد إلى حدِّ الطوفان كقصة **أتراخسيس** فقط.

2 - **نرجال**: عرف معبده باسم **إي - مِسلِم** في **جوتو*** في بابل، وقد اقترن بالعالم الأسفل، وصار زوجا للمعبودة **إرشكيجال**: سيدة العالم الأسفل، واقترن بالنيران، والأوبئة والطواعين، واعتبر إلهاً للحرب، وارتبط فيما بعد بالمعبود **هيركليس** اليوناني[55]. ومن صفاته أنه سريع الغضب، المحرق، عديم الشفقة، المُفجع، المُسبب لكوارث الشمس، ملك العالم الأسفل، ملك المحتوم، ملك المدينة السفلية، وكان يمثل صورة الشمس المحرقة في الظهيرة لما تسببه من أذى للإنسان والحيوان، بإصابتهم بضربات الشمس والحُمَّى والأوبئة ثم الموت، ويأتي الطاعون على يديه[56]. ومعنى اسم **نرجال**: النار الجلل، وهو ما يعكس كلَّ صفاتِه السابقة.

وكأنَّ صفات هذا المعبود تعكس مناخ العراق القديم الانتقالي بين الصحراوي الحار ومناخ البحر المتوسط المعتدل؛ حيث ترتفع درجات الحرارة في المنطقتين الوسطى والجنوبية، قد تصل إلى 45 درجة مئوية أو أكثر في الصيف وتزيد إلى الجنوب، ولا

تتعدى درجة التجمد في الشتاء. وفي المنطقة الشمالية، وبخاصة الجبلية، تنخفض درجة الحرارة إلى أقل من درجة التجمد لفترة طويلة من العام، ولا تزيد في الصيف عن 35 درجة مئوية، وهي أقرب إلى الاعتدال في الربيع والخريف، ويزيد الإحساس بمدى الحرارة اليومي بسبب زيادة الرطوبة[57].

وقد عبر العراقيون القدماء عن شمسهم بأكثر من صورة، فشمس الصباح خيِّرَةٌ تبدِّدُ الظلام وتنشر العدل؛ وعليه فهي تمثل الإله **أوتو– شمش**. تلك الصورة التي تختلف تماماً عند الظهيرة حيث أشعتها الملتهبة (خاصة في الصيف)؛ مما جعلها تأخذ صفة مغايرة للمعبود **شمش**، وللتوفيق بين هذا التناقض وما تسببه شمس الظهيرة من حرارة الجو والأذى للإنسان والحيوان، فتكثر الإصابات بضربات الشمس والحمى والأوبئة التي تصاحب المناخ الحار ثم الموت، وعليه؛ فقد جسدوا شمس الظهيرة بالمعبود **نرجال** إله الأوبئة والموت، ومن يأتي الطاعون على يديه[58]. كما ارتبط بالعالم الآخر وصار زوجاً لسيدته الأولى: **إرشكيجال**، حيث المقر الكئيب للموتى والأرواح الشريرة المستعدة دائماً لأن تفلت منه لتؤذي الأحياء.

ويرجح **نائل حنون** أن تصور أهل بلاد النهرين للعالم الأسفل كان انعكاساً لبيئة العراق القديم ومناخه؛ حيث صوروه معتماً بالغبار الذي يغطي كل شيء، هذه الصورة ما زالت تتكرر حتى في العصر الحديث، وخاصة في الربيع حين يحجب الغبار نور الشمس، كما يغطي البيوت والأشجار، وينتاب الأهلين شعور بالانزعاج وإحساس بالقلق[59].

3 – **إيرَّا**: من آلهة الحرب، وكان مسؤولاً عن الأوبئة ونسبت بنوته للإله **آنو**، وقد اختير ليعاقب المخطئين، واتحد فيما بعد مع المعبود **نرجال**، حيث عُبدا معاً في مدينة **جوتو** السابقة، وسميت زوجته **مامي**، ويدعى وزيره **إيشوم**[60].

4 – **العفاريت والأرواح الشريرة**: اعتقد البابليون والآشوريون بأن الجنَّ والأرواح الشريرة والخيِّرَةَ تحيط بالإنسان إحاطة كاملة، ولا يوجد حديث ثابت لتفسير طبيعة هذه الكائنات فقد اعتبر الأشرار من الجن والأرواح أبناءً للآلهة الشريرة القدَامى، الذين هزمهم **مردوخ** ليحرِّرَ زملاءه الآلهة من نفوذهم (في حربه مع **تيامة**).

واعتقدوا بأنَّ الأخيارَ منهم ينحدرون من بعض كِبارِ الآلهة الذين كانوا مازالوا يُعبدون. وقد صُوِّرَ الجنُّ الأخيارُ الأقلُّ عدداً في شكل ثيران مُجنَّحة حارسة لبوابات القصور، وفاقت أعدادُ الجن الأشرار عن الأخيار، وقد وصفوا بأنهم أبناء **بعل**، أو أبناء **آنو**، وكان يُظَنُّ أن أمهم إحدى إلهات العالم السفلي. وهناك وصفٌ آخرُ ينسبهم للمعبود **إيا** وزوجته **دامكينا**[61].

هذه الأرواح الشريرة هي مخلوقات غريبة يمكنها أن تتشكل في أية صورة، وأن تَـنْفُذ خِلالَ أي جسم، وأن تتحرك أينما شاءت دون أن يراها أحد، وتفضل الأماكن المهجورة والخرائب والمدافن، وأي مكان يبعَثُ على الرهبة، وتدلُّ على وجودها بأصواتٌ حيوانية تثير الفزع من المَراتِع السَّابقة. وقد كان الفن العراقي القديم مرآة صادقة لهذه الأفكار، فصوروها تجمع بين أجسام الإنس ورؤوس الحيوان، أو تجمع بين أعضاءٍ مختلفةٍ من حيوانات مختلفة، وهي تمثل غالباً أرواحاً شريرةً صعدت من جَوْفِ الأرْض، ولا عاصم للإنسان من أذاها. وتدلُّ هذه النظرية التشاؤمية على ضَعْفٍ في الأفكار الخُلُقيَّة، وانعدام الإيمان بجزاءٍ عادلٍ في حياة أخرى، وكانت الخطيئة أقرب الطرق لدخول الشياطين جسم الإنسان، وتعلن عن وجودها بجسم الإنسان بمظاهر غير مريحة كالأصوات المُنْكرة في البيوت ولفحات الريح والرؤى المُفْزِعَة. واعتبرت العفاريت والأرواح الشريرة من أدوات انتقام الآلهة من البشر، وهذا جزاءُ البابلي الذي أغضب إلهه بعصيانه قوانينه فقدَّر عليه العقاب، ويقول النص: "إنَّ مَنْ يمشي بلا إله سيكون العفريتُ دِثَارَه"[62].

عرف العفريت أو الروح الحارسة في السومرية باسم MASKIN، وفي الأكدية باسم rabisu (المُتَرَبِّص)، وباليونانية DAIMON، وتوصف بأنها قوة فائقة الطبيعة، وأنها في مرتبة بين الآلهة والإنسان وتوصف بأنها خيِّرَةٌ أو شرِيرَةٌ. وفي بعض التعويذات من العصر الآشوري الحديث 911–612 ق.م. كانوا يقولون: "اخرج أيها العفريت الشرير، وادخل أيها العفريت الطيب!". وقد كان مُوكَلاً بها معاقبة الأشرار، وغالباً ما صُورت على أنها الرياح والأعاصير (**كإنليل**)، ولم تصور الأرواح الشريرة في الفن؛ حيث يُظَنُّ أن صورهم قد تشكل خطراً على البشر، وقد وردت الأسماء المعروفة منها بين سطور

التعويذات والتعازيم الخاصة بالتقرب لها ومحاولة اتقاء شرِّهَا[63].

وهناك أيضاً مجموعة السبعة، التي عرفت بالسومرية باسم Iminbi، وبالأكدية: sebittu؛ بمعنى السبعة، وهم من أحفاد **آنو** إله السماء و**كي** ربة الأرض، ويعتبرون مساعدين للمعبود **نرجال**. وتربط بينهم وبين مجموعة Udug–Utukku مجموعة من التعازيم السحرية، وأحياناً كانوا يعرفون بـ "السبعة والسبعة"[64]. على الرغم من تغيُّر أعدادها أحياناً.

وهي من أهم مجموعات العفاريت المعروفة بتعذيب البشر. وتوجد في عشائر منفصلة، ومن أشهرها **ستيمو** أو الأشباح، ثم **نمتارو**: عفريت الوباء. وكانوا يذهبون إلى الإصطبلات يؤذون الحيوانات ويقتلونها ويجعلونها تفِرُّ في كل مكان، وهو ما قالت به العصور الوسطى من مبدأ سيطرة الأرواح الشريرة. ومهما أغْلِقت الأبواب بقوة، وكثُرت حواجِزُها فإنَّهَا يمكنها دخول تلك البيوت ويجعلون العائلات تتخاصم، وهي مسؤولة عن أي سوء يحيق بالإنسان، فالكآبة الشريرة التي قد يشعر بها الإنسان، وسوء الحظ والمُشَاكسة والعصبية، إنما تكون بسبب ما يحيط به من أعداء غير مرئيين[65].

ومن جماعة السبعة كانت الكوابيس وشيطانات الأحلام اللاتي تجامعن الرجال في نومهم، ولا يستطيع أحدٌ الهروب منهن مهما كافح. وتسبب عفريتة الأحلام أو ابنة **آنو** تعَسُّرَ الولادة أو قتل الأطفال، كما أنها العين الشريرة التي لا يفْلِت منها أحد، فتحبس المطر في السماء، ولا تجعل الزرع ينمو، وتسبب العقم للمواشي والأمهات في البيوت[66].

كما اعتقد العراقيون القدماء أن أرواح الموتى يمكن أن تظهر للأحياء في الليل يرعبونهم ويستلبسونهم ويؤدون بهم إلى متاهات مقلقة، ويصبُّون عليهم العذاب النفسي والجسدي، ويزيد عدد الأشرار منهم عن عدد الأخيار، وظهور أحدهم في الحلم يُعَدُّ فألاً سيئاً. وتأتي هذه الشرور على يد روح غريب عن أسرة المصاب لأنه لم يدفن، أوْ لأنه مات في مكان قفْرٍ أو مُوحِشٌ، أوْ بسبب الجوع والعطش، أوْ في مكانٍ لا يرتاده الناس، أوْ لأنه مات بالغرَقِ أو الحَرْقِ أو الإعْدَامِ، فصارت روحه تتجول ناقمة تحاول الثأر لمصيبة

صاحبها، فتنقضُّ على أوْل ضحية تقابلها، وقد تكون لشخص قد دُفِنَ، غير أن أسرته قد نسيته وأهملته[67].

ويمثل هؤلاء الأشباح أرواح الأشقياء في حياتهم، ومن ماتوا ميتةً عنيفةً، وليس مستغرباً أن يتميزوا بكثرتهم؛ فمصادرهم كثيرة؛ مثل: "مَنْ تُرِكَ جُثمانُهُ على الأرض السهلة. مَنْ لم يُدْفن. مَنْ تَمُوتُ عذراءً. مَنْ تَمُوتُ عند الولادة. مَنْ مات رضِيعاً. مَنْ يسْقُطُ مِنْ أعلى النخلة. مَنْ أغْرقَ نفْسَه". وغيرهم الكثيرون مِمَنْ لم يُكْرمْ عند موته لأي سبب، ومن ليس له صديقٌ يضمن له نذور الجنازة، كلُّ هؤلاء يلحقون بصحْبَةِ مجموعة **أوتكُّو** لتعذيبِ الأحياءِ[68]. ويعكس ذلك عدم تصورهم لعالم آخر رحيم ينال الإنسان فيه بعد بعثه خير ما قدم في دنياه؛ كالمصري القديم الذي أمِنَ أُخرَاهُ رُبمَا أكثر من دُنْيَاه، وهو ما عكسته الجغرافيا الطبيعية لمصر القديمة. وكلُّ منْ ماتوا أعلى تتعاطف معهم النفس البشرية السَّوية. واعتبرهم الإسلامُ شهداء، ومنهم المبطونُ الذي مات بعلَّتِه وفي الوباء، والغريق والمحروق.

عرفت هذ الروح الهائمة بالسومرية باسم GIDIM وفي الأكَّدية etemmu، المفروض أنها كانت تسكن العالم الآخر، وليست كلها سعيدة، ولابد أن تُقَامَ لها الطقوس الجنائزية، وتُقَدَم لها القرابين المختلفة[69] من المأكل والمشرب. وقد تدخل تلك الأرواح العائدة إلى الأحياء من خلال فتحات الآذان، ومن المعروف أنها تسبب الأمراض للإنسان عن طريق ما يُعرف بيد الشبح Qat etemmi، ويُوصفُ المريضُ في هذه الحالة بأنه: سبية الشبح sibit etmmi [70].

آمن عرب الجاهلية ببقاء روح الميت، وبأنها قادرةٌ على نفع ذويها أو إلحاق الضرر بهم، وتلازم هذه الروح أهلَ الميتِ وولدَه لتعلم ما يكون بعده فتخبره؛ حيث اعتقدوا أن الإنسان إذا مات أو قُتِل صارت روحُهُ هامَّةً. والهامَّةُ طائرٌ من الليلِ يألفُ المقابر، أو هي البومة. وقيل إنه الطائر الذي يخرج من هامةِ الميت؛ أي من رأْسه وهو الصدى. وكانوا يزعمون أنه يكون صغيراً ثم يكبر، حتى يكون كضربٍ من البُوم، وهو مُسْتوْحِش. فقدسوا قبور أسلافهم واتخذُوهَا مواضِعَ للصلاة، وحرصوا على احترام القبر وعدم التعرض له

بسوء. واستجاروا بصاحب القبر لدفع الشَّرِّ والأذى عن المُسْتجِير[71].

العفريت بازوزو: صور كثيراً في الفن العراقي القديم، ومن نماذجه تمثال برونزي (النصف الأول من الألف الأولى ق. م.) حالياً في متحف اللوفر، وصفته الكتابات بأنه: "ملك الأرواح الشريرة للهواء"؛ لأنه يجسد الريح المُحْرقة التي تهب من الجنوب، وتجلب العواصف والحمَّى معاً. وينشر **بازوزو** الهلع بين الناس، ويمكن مجابهة تأثيره الضّار بالتعاويذ، ويستعمل التطبيب والسحْرُ معاً لتحطيم هيمنته على جسم الضحية، وإرغامه على الهروب نحو الغرب؛ حيث تكون أبواب العالم الأسفل مفتوحة لاستقباله[72].

اعتبرت الأمراض من أهم مظاهر وجود الشياطين في جسم الإنسان، وكان أخوفها شيطان الحُمَّى، ويصور برأس أسد وأسنان حمار وأطرافِ نمرٍ أرْقط، وصوتُه صوت النمر أو الأسد، ويمسك بيديه أفاعي هائلة، ويداعب ثدييه كلبٌ أسودُ وخنزير. وبسبب ذنب المريض فإن مرضَه يرجع لتلبُّسِ الشياطين؛ ليكون التطبيب بطردها من جسم الضحية[73].

ب- المُخَلِّصُون

1 - **إنكي**: إله رئيس من كبار المعبودات في العراق القديم، وهو صديق البشر الذي لا يتركهم في الشدائد، ويكون مستعداً دائماً لكبت غضب **إنليل**، وإبطال شر العفاريت، فهو رب الحكمة والمتمتع بسلطة السحر العليا، التي أورثها ابنه **مردوخ**، وامتد عطفه ليشمل البشر ورفقاءه من الآلهة أيضاً[74]. اسمه السومري **إنكي**، وبالأكَّدية **إيا**، وهو ابن المعبود **آنُو** رب السماء، وأخٌ للمعبود **أدد- حدد**. ومعنى **إنكي**: سيد الأرض، وكان مركز عبادته في مدينة **إريدو**- أبو شهرين حالياً، ويسمى: **إي- أبسو**. وقد ساعد البشر بإخبارهم بقرارات الآلهة بإنزال الأوبئة والمجاعات والطوفان[75] في قصة **أتراخسيس**، ودعاهم للاهتمام بالمعبود نمتار الذي رفع الوباء عنهم. وكسر مزلاج البحر ليسمح للمياه بري الأرض لينقذ البشر من هلاك المجاعة.

2 - **مردوك - بعل**: الإله الحامي لمدينة بابل منذ حكم أسرة أور الثالثة على الأقل، واسمه "**أمار أوتوك**" بالسومرية ويعني: "ثور الشمس الصغير"، الذي يمثل مظهراً أرضياً لرب الشمس. ربطه البعض بمدينة إريدو أقدم المدن السومرية، فصار ابناً لمعبودها **إنكي**[76]. وسمي معبده في بابل: **إيساجيلا**، قُدسَ فيه مع زوجته **صربانيتو**، وزادت أهميته في فترة الحكم الكاشي - بدءاً من 1750 أو 1746 ق.م. حتى أواخر القرن الثاني عشر ق.م. تقريباً[77]. وصار ملكاً لكل المعبودات في أسطورة الخليقة البابلية، ولصلته بإنكي أصبح السحر والحكمة من اختصاصاته، ولصلته بـ **شمش** فقد نيط به تحقيق العدالة[78]. ولما صار على رأس مجموعة آلهة بلاد النهرين، أوكلت إليه عدة مهام، منها التدخل ضد العفاريت لمساعدة البشر حيث يُطْلَبُ من قبل الساحر المعالج لحالات تلبُّس العفاريت للبشر[79]. وكان **مردوخ** يساعد والده في طقوس طرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المرضى؛ لأنه يمكنه أن يرى تجمعات الجن والأرواح الشريرة ويصفها لأبيه **إنكي** بدقة[80].

ولعلاج بعض الأمراض فقد كانت تدور أحاديث طويلة بين مردوك وإيا في هيئة أسئلة من الأول، لتأتي الإرشادات من الثاني، وفي نهاية أحد هذه الأحاديث يجيب **إيا**- **مردوك** قائلاً:

"اذهب ابني مردوك أعطه شرابك الطاهر شراب الحياة،
دعه يأكل نبات الحياة، دعه يدهن نفسه ويغتسل، . . . . .
توصل إلى ساحرته بريح فمك، دع ريحَ فمك تصلها،
دع السحر والسُّمَّ والقذارة بعيداً عنه بتعويذة الحياة الطاهرة.
دع اللعنة تذهب إلى البرية، دع شبح الغريب يختفي. . .
دع الرَّجُلَ يكون صحِيحاً، ودع الرجل يكون مُعافى أمامك إلى الأبد.
وليفُكَّ مردوك ما عملته الساحرة لقتله، كما يعطي الحياة لرجاله"[81].

ويتوجه إليه أحد المذنبين يسأله السماح والعفو قائلاً:

" يا مردوخ الشجاع، يا من غضبه غضب بركان،

ونعمته نعمة أبٍ عطوفٍ،

ما من أحد يسمع ندائي: هذا هو سبب عذابي،

ما من أحد يصغي لصُراخي، هذا هو سبب عذابي،

القوة غادرت فؤادي، وهأنذا مثل عجوز هَرِم في الحضيض،

ما بقي الناس على الأرض، فمن الذي يهتدي وحده إلى الصواب؟

من لم يذنب منهم؟ ومن لم يقترف إثماً؟

لقد أخطأت في حقك وتعديت الأوامر الإلهية،

فاصفح عن ذنبي الذي أعرفه، واغفر ذنبي الذي لا أعرفه.

ليخل قلبك من الغضب،

خلصني من الذنب حررني من الخطيئة! "[82].

وتشير التوراة إلى أنه تحطم مع مدينة بابل عند الانتقام منها، كما جاء في قول إرميا في سقوط بابل "قولوا أخذت بابل خزى بيل(بعل)، تضَعْضَعَ **مردوخ**". (إرميا5: 2) وبعل من ألقاب مردوخ.

3 - **شمش**: تستجير إحدى التعويذات بالإله **شمش** ليعافي صاحبها مما حلَّ به من أشباح وتقول: "يا **شمش**! إن الشبح المرعب الذي جثم على ظهري منذ عدة أيام لا يرخي قبضته عني، إنه يلاحقني طول النهار ويرعبني طول الليل، ويستمر اضطهاده لي بلا انقطاع، لقد جعل شعر رأسي يقف إلى نهايته، إنه يهاجم جبيني، ويجعل وجهي مُتَّقِداً، ولقد جفَّف ريقي وأيبس لحمي وأنهك جسدي كله، فسواء كان شبحاً لأحد أقاربي، أم كان شبحاً لرجل مات ميتة قاسية، أم كان شبحاً تائهاً، فإني أتضرع إليك يا **شمش** أن تخلصني منه لقد هيأت له ما يحتاجه، ثياباً للبسه، وصندلاً لقدمه، وحزاماً جلدياً لعورته، وقِرْبَةً لشُرْبِه، وأعددت شعيراً لرحلته، دعه يذهب

هناك، حيث مغيب الشمس ليُودَع إلى **نيدو** رئيس حُجَّابِ العالم الأسفل، وعسي **نيدو** أن يُشَدِّدَ قبضَته عليه، عسَى مفتاحه أنْ يُغْلِقَ القفل عليه "[83].

وتهدد **عشتار** أباها **آنو** بأنها ستطلق الأشباح من العالم الأسفل كما في نص اللوح السادس من قصة جلجامش، ويحكي أن **عشتار** غضبت وصعدت إلى السماء لتشكو لأبيها **آنو**، وتطلب الانتقام لها من **جلجامش** قائلة:

94 - "يا أبي اخلق ثور السماء حتى يقف في وجه جلجامش

ويملأ جسم جلجامش (بالجروح)،

إذا (لم تخلق ثور السماء) فسوف أضرب الباب وأحطم المزلاج،

وأجعل الموتى يقومون ويأكلون الأحياء،

وسوف يطغَى الأمواتُ على الأحياء". ويجيبها **آنو** بأن ذلك سوف يُحْدِثُ المجاعَةَ والقَحْطَ لسبع سنوات، فأجابته بأنها وفرت ما يلزم لهذه السنوات من حاجة[84].

4 - **المعالجون**: استعان العراقيون القدماء بالكهنة كأشخاص لهم القدرة على تلقي معونة المعبودات لشفاء الناس من الأمراض التي تُلحقها بهم الأرواح الشريرة. وقد اختصّ مجموعة منهم في المعابد بشفاء المرضى. وقد امتلأت مكتبة الملك آشوربانيبال بلوحات (كتب) السحر والطقوس والتنجيم. وقد استحلَّ الكهنة السحرَ لمنفعة الناس وشفائهم من الأمراض والأرواح الشريرة والأشباح الخبيثة والشياطين التي تحلُّ في أجسام البشر، الذين اعتبروا السحر صنيعة الأرباب[85].

أ- أنواع السحر

آمن العراقيون القدماء بوجود نوعين من السِّحْر

الأول: الضَّارُ، والغرض منه إلحاق الأذى بالآخرين، وهو ما حرمته القوانين البابلية، والمادة 47 من قوانين العصر الآشوري الوسيط، وفرضت عقوبة الإعدام على منْ يمارِسهُ.

الثاني: الحَلالُ الخيِّر لأن الهدفَ منْهُ منفعةُ النّاسِ لشفَائِهم بوساطته من الأمراض وتخليصهم مِنَ الأرواح والأشباح الخبيثة التي تلاحقهم وتحلُّ في أجسامهم، وهي غالباً أرواح الموتى مِمّن لم يُكرمُوا عند الموت أو من لم يُدفنوا، إلى جانب أنواع من الشياطين الخالصة، التي تسبب أنواعاً مختلفة من الأمراض الجسدية والعقلية للناس[86].

ب- الحرز

يبدو أنه لصعوبة التخلص من تلك الأرواح والأشباح، ولأن الوقاية خير من العلاج، فقد ابتدع السحرة في العراق القديم الحِرْزَ لحماية الأشخاص من خطرها ولشفائهم من المرض، ويحتوي الحرزُ على تعويذة مكتوبةٍ فيها دعوة للآلهة العظيمة لحماية حاملها، ويضم الحرز أيضاً الصورة المُتخيَّلة للشيطان المقصود الذي يُرادُ التخلُّصَ منْه، وهي: "إنه ذلك الشيطان الذي اقترب من بيتي، يخِيفني وأنا في فراشي، إنه يُمزِّقُني ويرسل عليَّ الكابوس في اللّيل. فعسى أن يُسَلِمُوه (الشيطان) إلى الإله حارس بوابة العالم الأسفل بأمرٍ من **نينورتا** أمير العالم الأسفل، وبأمرٍ من **مردوخ** الذي يقيم في (معبد) **إيساجيلا** في بابل، وعسى أن تعرف البوابة والمزلاج أنني بحماية هذين السيدين"[87]. هكذا الأنسب تدخل إلهين كبيرين لهذا المرض غير العُضوي، **مردوخ** لثقله ووراثته لأبيه **إيا- إنكي**، والثاني **نينورتا** حارس العالم الآخر ليسلِّمَه هناك، والأهم التأكيد على غلق بوابته عليه بالمزلاج حتى لا يفلت.

وهذا حِرْزٌ ضدّ **بازوزو** الشيطان الموكل برياح الصيف اللافحة، صوِّرَ هذا الشيطان بالنحت البارز على أحد تلك الحروز من الحجر الجيري بوجهٍ مخيف يكشِّرُ عنْ أنيابٍ حادة، له صدرٌ كصدرِ الطائر، ويدان كالإنسان ولكنهما تنتهيان بمخالب، وله ذيلٌ طويلٌ معكوف وأربعةُ أجنحة (زيادة في رهبته). وفوق صورته صفٌّ من الكهنة المُعزِّمين يلبسون على رؤوسهم أقنعة لحيوانات مختلفة[88].

كما اعتقد العرب في الجاهلية أن الرجُلَ إذا أراد دخول قرية فخاف جِنَّهَا أو وباءَهَا، وقف على مدْخلِهَا وعَشَّرَ (نهَّقَ عشْراً كالحمار) ثمَّ دخلها لم يُصِبْهُ شيء. وزاد الألوسي

بأنه إذا علق عليه كَعْبَ أرْنبٍ، فإن ذلك عوذةٌ ورُقيَةٌ له من الوباءِ والجِنِّ، وهو ما أنكرهُ بعْضُهم في الجاهلية أيضاً، كقول الشاعر:

"ولا يُنْجِينَّـكَ مِـنْ حِمَـامٍ واقِـعٍ كعْـبٌ تُعلِّـقـهُ ولا تعْشِـيرُ" [89] .

كما اسْتعملوا التمائمَ للوقاية من الحسد والجن. إحدى التمائم كانت سِنَّ الثَّعْلب أوْ سِنَّ الهِرَّة وحيْضَ السَّمرةِ، والسَّمرةُ من شجر الطَّلحِ يسيل منها حيضُهَا كدم الغزال. وإذا خِيف على الصَّبِي نظْرةً أو خطْفة وعلقوا له ما سبق فإنه يسْلم، وتقول امرأةٌ تصف ولداً: " كانت عليْهِ سِنَّةٌ منْ هِرَّةٍ وثعْلَبٍ، والحيْضُ حيضُ السَّمُرَةِ" [90] .

ج- الكاهن المُعزِّم

عرف العراقيون القدماء الطبيب في السومرية بصيغة A.ZU، ويعني حرفياً: العارف بالماء (الشراب، حيث أغلب الأدوية قديماً؟)، وفي الأكَّدية asu. ويختلف عن العشَّاب ويعرف في السومرية بصيغة Ú.AŠ ويعني: العارف بالنبات، ويرادف بالأكَّدية šammu ēdu ولكُلٍّ ممارسته الخاصة [91] . ويتعرف الطبيب المَرض ويُشخصه، وكانوا يقولون إذا لم يُشفَ المريض من قبل الطبيب أو المُعزِّم فإنه: " أما الساحرُ فله أن يعمل ما يشاء" . ويكون دور المُعزِّم كالطبيب النفساني في شفاء المرض، ليرفع من حالته النفسية؛ لأنه يعلم أن المريض المتفائل المملوء بالأمل أقرب للشفاء من المُتخَاذل أمام رهبة المرض [92] . وللمنزلة العليا للكاهن كان لابد أن يكون سالماً مُعافى من التشوهات الخِلْقية مثل تشوه الجلد، أو خلع أحد أسنانه؛ لأن روح الإله ستحُلُّ بجسد الكاهن [93] .

ويختص بحثنا بالمُعَزِّم ويعرف في السومرية باسم ^{LÚ} $MU_7.MU_7$ ويرادف في الأكَّدية ašipu **أشيبو** ويترجم بأنه: طارد الأرواح الشريرة. وهو أقرب ما يكون للمُعزِّم حالياً، والذي يقوم بإخراج الجنِّ إذا ما أصيب أحدٌ بمسِّ الجن، ويستعمل في ذلك الرُّقَى والأدعية وأحياناً بعض أنواع العقاقير. فمثلاً يوصَف نبات الزعفران الأخضر لعلاج المسِّ أيضاً (يد الشَّبح ŠU.GIDIM.MA) مع بعض النباتات الأخرى مثل نبات عصا الرَّاعي والخرنوب والترمس وبذر شجرة الطرفاء، ويُلْجأ لتلك الوصفات في حال فشل المُعَزِّم [94]

وأبرز مهامهم طرد الأرواح الشريرة من أجسام المرضى، إلى جانب طقوس تطهير المعبد، وطقوس غسل الفم، وهي خطوات أساسية تتبع أثناء تقديم الثور كقربانٍ للإله [95].

حدَّدَ العراقيون القدماء بعض العلاجات لغير الأمراض العُضوية، التي سببتها يدُ الإله أو الشبح. فمثلاً فُسرَ مرضُ الجُذام[96] بأنه يدُ الإله، واسْتعملوا الأفيون لعلاجِه بخلْطِهِ بدهن الحيّة السوداء، ويُدهن به لسبعة أيام، ويقول النص: 61 – ... ... ŠU DINGIR LÚ ana ZI . šú Ì UR . MAH "يدُ الإله (أصابت) الرَّجُل ولشفائِهِ دهْنُ الأسد (الأفيون)" [97]. يتعدد مرض الجُذام بألوانه كالأحمر والأبيض والأسْود، وتشير الألوان السابقة إلى تغيُّر لون الجِلد بتأثير المرض، وأصلُ لون البشرة، أما **شو دنجر**؛ فهي يدُ الإله.

كما استخدم القنب (qunnabu بالأكَّدية = cannabis باليونانية = الحشيش) مع عدد من النباتات لعلاج يد الشبح، وهو نوع من المَسِّ. ويقول النص: –22 حجر الشبِّ (هذه) 12 نباتاً(تُستعملْ لعلاج) يد الشَّبح (المسّ، بسحقها) في البيرة وتُشْرب وسوف يُشفى" [98].

عثر في مكتبة قصر الملك آشوربانيبال على نصوص ترتبط بتشخيص الأمراض، ونصوص الفؤول والعرافة والتعازيم التي يحتاجها كاهن **أشيبو** المُعزِّم، وتبدأ النصوص بعلامات العرافة وهو في طريقه لزيارة المريض، هكذا:

" إذا رأى المُعزِّم كلباً أسود أو خنزيراً أسود، فسيموت المريض".

" إذا رأى المعزِّم خنزيراً أبيض، فسيعيش المريض".

" إذا سقطت أفعى على فراش المريض، فسيشفى ذلك الرجل المريض".

" إذا سقطت عقربٌ على مريضٍ، فإنه سيموت في اليوم العاشر".

" إذا لازمت عقْربٌ من غير انْقِطَاعٍ وسادةَ مريضٍ، فإن مرضَهُ سيتركه".

- وهناك نصوصٌ للتشخيص تخصُّ المُعزِّم أيضاً في الجزء الثاني من النصوص؛ مثل:

" إذا صرَخَ رجلٌ مريض بغير انْقطاعٍ، جُمْجمتي، جُمْجمتي، فإنها يدُ الإله".

" إذا ما اشْتَدَّ الألمُ في الجهة اليمنى، فإنها يد الإله " .

" وإذا ما تألَّمَ منْ رأْسِه، واحْمرت عضلاتُ حاجبيه ويديه ورجليه، وأخذت تخْرقه، فإن ذلك يدُ أحد الآلهة، وسيعيش " .

" إذا كانت رقبتُهُ تسْتدير بغير انْقطاعٍ نحو اليسار، وكانت يداهُ وقدماه مُتدليتين، وكانت عيناهُ شاخصتين نحو السماءِ ومفتوحتين، وكان زبدُه يسيل ويُشَخِّر، وفقد وعيهُ وأخذ يهْذي. فإن أزمته هذه هي (النوبة الشديدة) وإنها يدُ الإله سين " [99].

- تناول الجزء الثالث من النصوص تصنيف المرض طبقاً لطول مدته، ومنها ما ربطه بالإله: " إذا كان مريضاً لخمسة أو عشرة أيام، وليست هناك حُمَّى أو عرق، فإنها يدُ الإله سين، إنه سيموت " .

- وتناول الجزء الرابع الخدرَ والهذيان والحالات النفسية كاختلال العقل والصرع، مثل: " إذا كان يتلعثم في كلامه، فإن هذا الرجل قد قُدِّمَ له طعامٌ مسحورٌ ليُمْرِضَه " .

" إذا. . . اعْتراهُ، وإذا كان يتكلم باستمرارٍ معَ نفْسِه، ويضحكُ لسبب أو دون سبب، فإنه يُعاني من مرض الحُب، وأنَّ ذلك سواءٌ بالنسبة للرجُلِ والمرأة " [100].

وقد يسمع الكاهن العرَّاف بعض الأصوات في طريقه إلى بيت المريض مثل صرير الباب أو نعيق الغراب: " إذا سمع صريراً في الباب الذي يرقد المريض خلفه، فإن هذا المريض سيموت " . وقد تحدث بعض العلامات للعرّاف نفسه: " إذا طنَّت أذنُه اليسرى، فإن هذا المريض سيُشفى " [101].

يبدأ الكهنة المُعزِّمُون المختصون بطرد الأرواح الشريرة بفحص المريض لمعرفة الروح التي أصابتْهُ، ومن ثَمَّ اختيار التعويذة المناسبة لتُقْرَأ مع تأدية الطقوس الخاصة بها. وتجري عملية التعزيم في المعبد (كالمسجد والكنيسة الآن) أوْ في بيت المريض. وتؤكد النصوص المسمارية ذات العلاقة ضرورة تطهير المكان قبل كلِّ شيءٍ[102]. هكذا أدرك البشرُ قيمة النظافة الشخصية بالماء ثم التطهير المادي والتطهر به، وفي موضوعنا يكون معنوياً

بالبخور؛ لأن الشياطين والأرواح الشريرة التي اعتادت سكنى العالم الأسفل بكآبته أن تنفُر من الروائح العطِرة، وكانت الوصية للنازل إليه ألا يتطيب.

يبدأ كاهن **أشيبو** المُعَزِّم وكاهن **بارو** العرَّاف الطقوس السحرية لتخليص المريض مما لحق به من الأذى. وتبدأ بإشعال النَّار، وهي من الأسلحة الفعالة في طرد الأرواح الشريرة والشياطين من جسم المريض، وبعدها يدعو الكاهن أرباب النَّار وهم **جيرا، جبل، نوسكو** لينقضوا على تلك الأرواح لطردها. ثم ينطق الكاهن بتعويذته: "**أوتكُّو** الشرير انقلع، **ألو** الشرير: اذهب يا **ألو** الشرير من جسد هذا الإنسان، ابن الأرباب، لا تُصِرّ على البقاء في زوايا هذا المنزل... ولا تحاول العودة إليه... ولا تقل أريد أن أبقى في هذا المنزل، ولا تقل إني أريد البقاء في أنحاء هذا المنزل... **أوتكُّو** و**ألو** الشريران، اخرُجا إلى بعيد... **أوتكُّو** و**ألو** الشريران اذهبا إلى المواضع المُقفرة، حيث مسكنك ومُقامُك في البيت المُتهدم المهجور"[103].

يشترك الإله **إيا- إنكي** إله الحكمة والموكل بالسحر، ومن علم **مردوخ** أسرار السحر وفنونه، فيتضرع المريض لمردوخ بوساطة الكاهن لتخليصه من أثر الأرواح الشريرة. وتظهر نصوص التعازيم أن **مردوخ** بدوره يقصد أباه **إيا** (المرجعية بالترتيب: الكاهن- مردوخ- إيا) ويعرض عليه حالة المُستغيث، ليخبره **إياه** بالإجراءات الواجب إنجازها لشفائه. وتوضح التعازيم أن إشعال النار كان أحد الطقوس الفعالة لطرد الشياطين والأرواح الشريرة من جسم المريض، وبعد إشعالها يستدعي آلهة النار السابقة لتنقض عليها وتطردها[104]. هكذا أدرك كلُّ البشر قوة النَّار للتخويف ثم التطهير وحتى الآن للتعقيم، وأحياناً في بعض المجتمعات للتخلُّص من الجثث الموبوءة.

استبدال المريض: قد يلجأ الكهنة المُعزِّمُون إلى صُنعِ دُمية من الشمع تشبه المريض، تدفن في المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة المسببة للمرض. والغرض من ذلك القيام بدفن رمزي للروح الشريرة لإعادتها للعالم الأسفل مقر الأموات، وإيهامها بأن المريض قد مات وانتهى أمْرُه. ويلجأ الكهنة لعملية الاستبدال بالدُّمية لتوفير شيءٍ آخر يحلُّ فيه الشيطان أو الروح الشريرة بدلاً من جسم المريض. وقد يكون هذا البديلُ حيواناً

(متوفراً بالبيئة) كالجدي مثلاً، حيث يقرأ الكاهن تعاويذه ويجري طقوسه على الجدي البديل، ليخْرج الشيطان من جسم الأصل المريض ليحلَّ في الجدي فيُشفَى المريض[105]. ويوضع الحمل أو الجدي إلى جانب المريض وفي فراشه، ويمرِّر كاهن الأشيبو سكيناً خشبية على رقبة المريض، ثم ينْحر رقبة الحمل بسكين نُحاسي، ويُلْبس الحمل ملابس المريض، ويبكي عليه في محاولته لشفاء المريض[106]. ويتطوع أحد الأشخاص ليلعب دور الملك البديل، ليحمل عن الملك الحقيقي مصيره السيئ، حينما ينذِر الكهنة الملك الحقيقي بفأله غير المُناسب في رأيهم. والاستبدال حتى الآن في الدُّمى وتوقيع العمل أو التدبير الشرير عليه، والعروس الورقية وثقبها بالإبرة من عين فلان أو فلانة، وحتى الآن تدفن في المقابر خِلسة ومازال الدفانون يستخرجونها حتى الآن عندما ينزلون المقبرة لدفن أحد الأموات.

ويعدِّد الإصحاح الثامن من إنجيل متّى معجزات المسيح -عليه السلام- في شفاء المرضى، وفيه ما يشبه ذلك حينما خرج عليه مجنونان من المقابر فصرخا يقولان: "مالنا ولك يا يسوع أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا، وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى. فالشياطين طلبوا إليه (يسوع) قائلين: إن كنت تُخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير. وإذا قطيع الخنازير كلُّه قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه". (متَّى8: 28-32) ولما شفَى المسيحُ الأخرسَ المجنون "فلما أُخْرِجَ الشَّيطانُ تكلم الأخرسُ... أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يُخْرِجُ الشياطين". (متَّى9: 33-34).

تصيب الشيطانة لمشتو الرجال بالأمراض، وقد أوردت النصوص المسمارية تفاصيل ما يجب أن يقوم به الكاهن المُعزِّم لمعالجة المُصاب بها هكذا: "عليك بتطهير المكان أولاً، ثم خذ شيئاً من الطين واصنع دُميةً لمشتو، وضعها عند رأس المريض. املأ المبخرة بالرماد ثمَّ دُسّ فيها خنجراً، ثم اتركها عند رأس المريض ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث عند انتهاء النَّهار، خذ الدُّمية واطعنها بالخنجر ثم ادفنها في الزاوية عند الجدار" [107]. البداية التطهير، ولأنه لن يتمكن من لمشتو فالدمية بديل عنها، والخنجر للتخويف حتى الآن، وانتشرت عملية الطعن لهذه الكائنات كثيراً في الفن العراقي القديم، وتركها عند رأسه لترى التهديدات، وكذلك في زاوية الجدار إن عاودت.

يبدأ كاهن **أشيبو** طقوسه بأن يلبس الرداء الأحمر؛ لأن اللون الأحمر هو الواقي من الأرواح الشريرة. أو يلبس جلداً يشبه السمكة ليؤكد صلته بالمعبود **إيا- إنكي**، ثم يمارس طقوسه ويطلق التعويذة: "حقاً إنك شرير. . " وتطلق لطرد العفريت الشرير **ألو**، ولدفع مرض السقوط (الصَّرع). وقبل ذلك تُحدَّد دائرةٌ بالطحين على الأرض حول سرير المريض؛ لأنها تمنع الشياطين من الدخول إليها[108].

اعتبر العراقيون القدماء المِلْحَ والقمْحَ كائنات حيّة لجأ إليها عند البلاء والمصائب فيخاطب **الملحَ** قائلاً:

" أيها الملح، يا من خُلقت في مكان نظيف،

طعاما للآلهة جعلك (إنليل)،

بدونك لا يَسْتنشق البخورَ إلهٌ أو ملكٌ أو سيدٌ أو أميرٌ،

أنا فلانٌ ابن فلان:

وقعتُ أسيراً للسحْر،

وقعت محْمُوماً في أحابيله.

أيها الملحُ، حُلَّ عني العُقْدَة

ارفع السحر عني، وكخالقي

أرْفعُ المجدَ والتسبيحَ لك".

ولجأ العراقيون القدماء للقمح باعتباره كائناً حياً، يرسله للمعبودات لتخفيفِ غضبِهَا، ويخاطب **الطحين**:

" سأرسِلك إلى إلهي الساخِط، إلهتي الساخطة،

فقد امتلأ قلبُ كليهما غضباً عليَّ،

أصْلِح بيني وبين إلهي الساخط وإلهتي الساخطة " [109].

وقد كان **الخُبْزُ المُحَمَّص** هدية نمتار في قصة **أتراخسيس**، التي أخجلته فرفع عنهم الوباء. ويقدِّرُ العرب حتى الآنَ العيش والملح ربما لهذا الموروث، فهما أيسر وأقدم الأطعمة، ويستعمل المعزِّمون الملح حتى الآن مع النار عند طقوسهم وينثرونه حول الأطفالِ في السُّبوع مع الحبوب الأخرى السبع ومنها القمح، لإطعام الكائنات غير المرئية فيُحْفَظ الطفلُ وأمُه منها. وُصِفَ المِلْحُ أعلى بأنه خُلِقَ في مكان نظيف، بما يشير إلى أنهم أدركوا بأن البكتيريا وغيرها لا تعيش في الوسط المِلْحِي، ومازال الملح للآن يستخدم في حفظ الأطعمة، ويستعمل أطباء الأسنان المحلول الملحي المخفف للغرغرة عند خلع الأسنان وعمليات جراحة الفم.

وكان للّون الأزرق الفيروزي خاصة عند البابليين مغزى سحري لطرد الأرواح الشريرة من المدينة؛ حيث تركزت ألوان البوابات الكبرى للمدن العراقية القديمة، ولا سيما بوابة عشتار من بابل في متحف برلين، التي عُرِفتْ بأنها قاهرة أعدائها: . ša . ištar šakipat tebi [110] ومازالت الخرزة الزرقاء للغرض نفسه.

العُقد السحرية: شاع طقس ربط العُقد السحرية وفكها عند العراقيين القدماء، وقد استعملوه لوقاية النساء الحوامل، وللسيطرة على العدو بعقدِها، فإذا انفكت العُقدة انكسرت وزالت قوتها السحرية. وتُختم التعزيمة التي أُعدَّت لإبطال السحر بهذه الكلمات: "عقدتها انفكت، سحرُهَا قد بَطُل، وملأت جميعُ رُقَاها الصحراء" [111]. تشتَّت فلم يعُدْ لها أثر.

النتائج

- كانت البيئة الطبيعية العراقية من مناخ حار ورياح لافحة وجبال وفيضانات وصلت حد الطوفانات السبب الأول في نظرة تشاؤمية انتابت العراقيين القدماء، خاصة مصيره بعد الموت في عالم كئيب مظلم تحت الأرض.
- هذا العالم تسكنه الأرواح الشريرة بأسواره السبعة وبواباته المحكمة كالقلاع والسجون، يتحين سكانه الفرص ليتفلتوا منه ويخرجوا إلى عالم الأحياء يعيثون

فيه فساداً وإيذاءً لهم، حتى إن التعازيم كانت تخاطب بوابة العالم الآخر ومزلاجه وحارسه الصارم المُخيف وتشدِّد ألا تفلت منه أي روح.

- ربط العراقيون القدماء كثيراً بين الأمراض وانتقام الآلهة، واعتبروها بيد هذا الإله أو ذاك أو أتباعهم، أو العفاريت أو الشياطين أو أرواح الموتى ممن لم يدفنوا؛ ومن ثم فإن العلاج يكون عن طريق الآلهة أيضاً بالصلوات والقرابين.

- تعرضت بعض الآلهة للانتقام مثل **إيا-إنكي** وأشرف على الموت، ثمَّ خُلق الإنسان ليكون الهدف الأول لهذا الانتقام بالأمراض، التي سبقت الانتقام بالمجاعات والطوفان، كما في قصة أتراخسيس (الطوفان البابلية)، والبابلي **شبشي مشري شكان**، والأمثلة كثيرة جداً بين البشر.

- تركزت أسباب الانتقام في الأخطاء بحق الآلهة في المعبد أو خارجه في ممارسة الطقوس المختلفة كتقديم القرابين، والقسم دون رفع اليد، وعدم الطهارة، وأحياناً لأسباب واهية كإزعاج البشر بضجيجهم لإنليل فلم يستطع النوم، أو تكون مجرد إرادة سيادية منهم كالمُعذب البابلي السابق، وتتشابه حالته مع سيدنا أيوب؛ عليه السلام.

- جاء على رأس المنتقمين إنليل رب الرياح والأعاصير كانعكاس للتأثير السيئ لهذا العامل الطبيعي على حياة العراقيين أصلاً. ثم نرجال زوج سيدة العالم الأسفل، ورب الأوبئة والأمراض؛ لأنه يمثل شمس الظهيرة المُحْرقة بضرباتها ولفحاتها وما تسببه للبشر والحيوان والمزروعات.

- هدّدت أرواح الموتى الذين لم يدُفنوا، ومن لا يجدون بعد الموت من يتكفل بهم، والموتى في المخاطر كالمحروق والغريق ومن سقط من على النخلة، ومن ماتت وهي تلد. كذلك من يتفلتون من العالم الآخر، كأنهم عادوا من مصيرهم غير المُريح لينتقموا من الأحياء حِقداً عليهم، كالسَّوابق يخرجون من السجن بلا أمل فيفسدون، أو العفاريت مثل **لمشتو وبازوزو** الشهيرين.

- تزعم **إيا- إنكي** المُخَلِّصين والمُسَاعِدين لشفاء البشر بنفسه من أمراضهم، رُبما لأنه جربه قبل وأشرف على الموت فأدرك هذا العناء. أو بمساعدته **مردوخ** وريثه في الحكمة والسحر، ويبدأ تدخلهما بعد كاهن التعازيم **أشيبو**، الذي يوجه صلواته لمردوخ الذي يستشير مرجعيتَه **إيا- إنكي**، فيرشدانه إلى الطقوس المطلوبة للشفاء.

- كان العلاج بتطهير المكان وإشعال النار واستدعاء أربابها، ثم تلاوة التعازيم التي تصبُّ تهديداتها على الروح أو الشيطان بأن يفرَّ من الضحيّة إلى الغرب، إلى العالم الأسفل مع توصية بوابه ومزلاجه بأن يُحْكِمَا السيطرة عليه. وقد يكون كذلك بعمل دُميتين للمتسبب والضحية لإتمام الطقوس عملياً عليها لضمان سريان مفعولها، ثم دفنها بالمقابر أو في زاوية المنزل.

المقارنة بوضعنا 2020

لم نختلف كثيراً في مُعْظم الوطن العربي، سوىأن اسْتَبْدَلنَا بأسماء الآلهة الوثنية لفظ الجلالة، سبحانه وتعالى، أو اسم المسيح هكذا:

1 - مازالت درجة الحرارة الكبيرة صيفاً تقْلِق الشرقيين عامَّة- على عكس الأوروبيين مثلاً- وتصيبهُم بالكآبة والحنق والعصبية، فيستجيرون من النّار وحرِّها، وعِند الغضبِ يُهدِّدُ الغضبانُ أن يخرج من هُدُومِه كما يفعل صيفاً لتأثير البيئة.

2 - بعْضُنا يترهّب زيارة المقابر، وعليه أن يلتزِم بآدابها فلا يُهرج أو يصْخَب. ونحن في الريف المصري حتى الآن نعتقدُ أن الذُّبابَ الأزرق والأخضر الذي ينتشر حولها يمثل أرواحَ ساكنيها الأموات. ويقول المثل الشعبي مُهَدِّداً: "مش هخلي الدبان الأزرق يعرف لك طريق جتة": سأواري جثتك بعد قتلك فيغيب عنها الذبابُ الأزرق؛ أي الروح شعبياً.

3 - أخبرنا أهلونا أنه عند مرورنا بمكانٍ قُتل فيه إنسانٌ أوْ غَرِق، قد تُباغِتنا روحه لتُرْهِبَنَا،

علينا أن نُبادرها بالقولِ: " اتْشطَّر على مَنْ قتلك" ، كأني أهدِّدهُ بأنك أضعفُ مِني، وإلا لم تُقتَلْ ليفِرُّ ويغتاظ ويهرب مني.

4 - بعْضنا يعتقد أن الخرابات والمزابل وحظائر المواشي ودورات المياه وبالوعاتها تكون مرْتعاً لهذه الكائنات الخبيثة، وتسكنُ بعضَها الطيور كالبومة والغراب نذيري الشّؤم في الشرق الأدنى القديم حتى الآن، وعلى الإنسان أنْ يحْتَرِزَ منها عند دخولها.

5 - يُحذِّر رجال الدين أتباعهم كثيراً بالالتزام بتعاليم الدين والصلوات والطهارة وغيرها من الآداب، حتى لا تحيق بهم لعنة الله بالأمراض وغيرها، أو يمسّهُم ويتلبَّسهم جانٌّ أو شيطانٌ فيؤذيهم، كاسم **لمشتو**: لمستو: المتلبِّسُ والمُلَامِسُ للضحية.

6 - كما فعل أشيبو كاهن التعزيم قبل، يُعَزِّم بعض رجال الدين أو المُشعوذون الآن لطرد الأرواح الشريرة من أجسام مرضاهم بعد تطهير المكان ونثر الروائح الطيبة، ويستدعُون النار في مجمرة البخور وشبورته، ويهدِّدون ويطلبون من تلك الأرواح أن تخرج أمامهم وتتفرق أشْتاتاً أشْتوت.

7 - يتم للآن أن يستبدل بالضحية عمل دمية لها أو عروسة أو تمثالٍ من قبل المؤذين لضرر الأصلِ وهو ما يسمى بالعَمضل، أو بغرَضِ إجراء الطقوس عليها لشفاء الضحية، كالعروسة الورقية وثقبها من عين فلانٍ أو فلانة، كأنه يثقب عيون ناظريها. ومازال دفانو الموتى في 2020 يستخرجون من داخل المقابر مئات العَمَلاتِ (المَعْمُولات) وأوراق السِّحْرِ الملفوفة بإحكامٍ لضمان أثرها بغرضِ إيذاء البشر، يقومون طوْعاً بتفكيكها ويذيبونها في الماءِ لمَحْوِ مفعولها وإبطالها كأن لم تكن، وتعُجُّ وسائل التواصل الاجتماعي بصورها الحَيَّة يومياً.

8 - هذه المعمولات (العَمَلات) تكون بأشكالٍ قميئة ومُخيفة تُذَكِّرُ بشكلي **لمشتو** و**بازوزو** في الفن العراقي القديم، وربما تكون أسماء **شمهورش** وغيرِه من تلك الرواسب. ولا تُكْتَب نصوصها ولعناتها إلا باللون والمِدادِ الأحمر لون الدَّم ناتج الإيذاء والقتْلِ، وهو عيْنُهُ لون الشفاءِ على عربات الإسْعَافِ، للهلالِ والصَليبِ

الأحمرين وغيْرِهمَا.

9 - ما زال بعْضُنا يستعمِلُ الأحْرَازَ والتمائمَ لتُعلّق على الصُّدُورِ وواجهاتِ المنازلِ وفي السيارات، لتشْغَلَ عين الرائي فلا يتمكن من تمام الرؤيا فلا تصيب الضحية، وتكون ذات لونٍ أزرق لتذكرنا بلون بوابة عشتار في برلين اللون الفيروزي الواقي. تمثلت هذه الحروز في آية الكرسي، وتعني إخلاصَ الوحدانية والعبودية والاعتماد على الله، مكتوبة على الفضة أو الذهب. كذلك الصليب فضة أو ذهباً أيضاً، وكلُّهَا حماية ثم زينة. الحبةُ الزرْقَاءُ والكفُّ المُعلق مفتوحُ الأصابعِ، أو المطبوع بكف إنسان ومصبوغ بدم النَذْرِ على سيارةٍ أو مَحِلَّةٍ جديدة، أو تعلَيق فردِ حِذَاءٍ قديم للتشويش على رؤية الناظرِ فلا تؤثر عينُهُ في الضَّحِية.

10 - وختاماً هكذا اعتقدَّ غالبيتُنا في جائحة **كورونا** بأنها بسبب ما كسبت أيدينا لنذوق بعض ما عملنا من ذنوب، وبدأ معظمنا يعود إلى مُعْتقّدِه ويدعو إلهه بأن يرفع عنَّا هذهِ النَازِلة، فهي من عند الله؛ ومن ثم كشفها ورفعها منهُ وحده.

الهوامش والمراجع

(1) ليس موضوعنا الطب في العراق القديم في هذه الورقة، وللمزيد عنه انظر:

- خليل إسماعيل، بهيجة: **الطب، دوره ومكانته في حضارة العراق القديم، الندوة القُطْرِية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب**، بغداد: 1989، ص692-706.
- البدري، عبد اللطيف: **من الطب الآشوري**، بغداد: 1976.
- البدري، عبد اللطيف: **الطب في العراق القديم: تدريساً وممارسة، دراسات في الطب العربي**، بغداد: 1990، ص55-67.
- البدري، عبد اللطيف: **الطب في العراق القديم**، بغداد: 2000.
- الراوي، فاروق: **العلوم والمعارف، العلوم الطبية، حضارة العراق**، ج2، بغداد: 1985، ص325 - 354.
- عبد الرحمن، يونس: الطب في العراق القديم، **رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل**، 1989.
- الهاشمي، رضا جواد: "**الأطباء والحلاقون في العراق القديم، دورهم ومكانتهم**"، **سومر51**، بغداد: 2002، ص192-198.

(2) رشيد، فوزي: **الديانة، حضارة العراق**، ج1، بغداد: 1985، ص180.

(3) العلوم والمعارف، العلوم الطبية، حضارة العراق، **ص327**.

(4) رو، جورج: **العراق القديم**، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، ط2، بغداد: 1986، ص90 – 489.

. G . ، Contenau . **La Magie chez Les Babyloniens et Assyriens** . Paris : 1947

(5) كلينجل، هورست: **حمورابي ملك بابل وعصره**، ترجمة: د. غازي شريف، مراجعة: د. علي يحيى منصور، بغداد: 1987، ص147.

(6) للمزيد: الأحمد، سامي سعيد: "الطب العراقي القديم"، **سومر 30**، بغداد: 1974، ص79 – 136. والدليمي، مؤيد محمد: **دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبيَّة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2006.

(7) G., Lambert. **Babylonian Wisdom Literature.** Oxford, Clarendon: 1967. pp.42f, lines: 71–74

(8) - J. Black, A. Green. Op. Cit. p.67. fig.55. and also R. C. Thompson: **Demons& Spirits, Encyclopedia of Religion & Ethics.** IV., New York: 1958 -9.

(9) .E., Lichty. **Demons and Population Control**. Expedition.13, 1971, pp.22-26

(10) الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**، ط1، عمَّان، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998، ص170.

(11) العراق القديم، ص494–495.

(12) حنون، نائل: **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ط2، بغداد: 1986، ص145– 146.

- For anzallu see CAD., vol.1/2, p.153.

(13) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص145 - 148.

(14) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص151 - 152.

(15) العراق القديم، ص146 – 148.

(16) روزنكارتين، إيفون: **نظام القرابين في المجتمع السومري حسب نصوص ما قبل سرجون في لجش**، ترجمة: د. خليل سعيد عبد القادر، ط1، بغداد: 1990، ص5 - 6.

(17) كونتينو، جورج: **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة وتعليق: د. سليم طه التكريتي وبرهان عبدالتكريتي، ط2، بغداد: 1986، ص472 - 473.

(18) بوتيرو، جان: **بلاد النهرين، الكتابة – العقل – الآلهة**، ترجمة: ألبير أبونا، مراجعة: د. وليد الجادر، بغداد: 1993، ص276 – 278.

(19) الديانة، حضارة العراق، ص157-158.

(20) - W.G., Lambert & A. R., Millard. **Atra – ḫasis, The Babylonian Story of the Flood**. Oxford : 1969

- W.G., Lambert & A. R., Millard. "New Light on the Babylonian Flood", **JSC**.5, 1960, pp.113 -123.

- M. E. L., Mallowan. **Noah's Flood Reconsidered**. Iraq 26, 1964, pp.62 -82.

- W. L., Moran. "Atra – ḫasis, the Babylonian Story of the Flood". **Biblica** 52. 1971, pp.51-61; E., Sollberger. **The Babylonian legend of the flood**. London: 1962.

(21) .Atra – ḫasis, I, 385. p.68

(22) القصة من أكثر الروايات تفصيلاً عن الطوفان، وقد سجلت على عدد كبير من الرقم الطينية، يعود أقدمها إلى العصر البابلي القديم (1950 – 1651 ق.م)، في حكم الملك (عمِّي) أمّي صدوقا – Ammi–ṣaduqa، ونسخها الكاتب الصغير كو آيا 1626– 1646 ، Ku– Aya ق.م، عثر على أغلبها في مدينة سيبار، بلغ مجموع سطور الرُّقم الثلاث 1245 سطراً. وهناك رواية منها تعود إلى العصر البابلي الوسيط 1157–1651ق.م. وأخرى من العصر الآشوري الحديث 911–612 ق.م. وثالثة من العصر البابلي الحديث 624–539 ق.م. صنف القصة Millard A. R., & Lambert W.G في كتابهما عن قصة الطوفان البابلية، وسجلا رقم كل قطعة أو الرقيم في المتحف الذي يعرضه الآن، مع ملحق مصور لجميع الرُّقم. واعتمد الباحث على ترجمتهما للقصة. – Atra – ḫasis, The Babylonian Story of the Flood, p.31f, 40f .

(23) - W.G., Lambert. **The Historical Development of the Mesopotamian Pantheon: In unity and diversity**. Goldicke, Ed. H. and Roberts, J.J.M. 1975, pp.91-99.

(24) - Atra –ḫasis, I. lines 61-94, pp.47-49.

(25) - Atra –ḫasis, I. 9 -12. pp.55-57.

(26) - Atra –ḫasis,I, 352 -359, p.67; and A. D., Kilmer. **The Mesopotamian Concept of overpopulation and its Solution as Reflected in the Mythology.** Or. 41, 1972, p.166.

(27) باقر، طه وفرنسيس، بشير: "الخليقة وأصل الوجود"، **سومر**5، بغداد: 1949، ص12، سطر 38.

(28) - The Mesopotamian Concept of overpopulation and its Solution as Reflected in the Mythology, Op. Cit., p.167.

(29) - Arta – ḫasis, p.107.

(30) - Arta – ḫasis, pp.107-9.

(31) - Arta – ḫasis, 371, pp.68, 188.

(32) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط 3، ج2، ص 898.

(33) - Atra- ḫasis, pp.106, 183.

(34) علي، عبد الواحد فاضل: "ثم جاء الطوفان"، **سومر** 31، بغداد: 1971، ص23 وكذلك: CAD . III, pp.165f.

(35) المعجم الوسيط، ج1، ص312.

(36) - A., Gardener. **Egyptian Grammar,** 3rd **Ed**. Oxford: 1979, p.556a; sign-list. no. n4.

(37) - Atra –ḫasis, pp.16,197.

(38) "ثم جاء الطوفان"، ص23.

(39) دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبيَّة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، ص138.

(40) CAD.,1/2, pp.325ff.

– دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبيَّة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، ص23.

(41) – Atra, ḫasis, pp.16,197.

(42) – Op. Cit., pp.35f.

(43) – Atra – ḫasis. I, p.69.

(44) – Atra – ḫasis, I, 400–412, pp.69 -71.

(45) – Op. Cit., p.134.

(46) ثم جاء الطوفان، ص24–5.

(47) علي، عبد الواحد فاضل: **سومر أسطورة وملْحمة**، بغداد: 1997، ص255–256.

(48) سومر أسطورة وملْحمة، ص256.

(49) الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص337.

(50) الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص434 – 435.

(51) بلاد النهرين، الكتابة – العقل – الآلهة، ص362.

(52) – Th., Jacobsen: **Lil [2] of En – Lil[2]. in DUMU – e2.DUB.BA.A, "Studies in Honor of Ake W. Sjoberg"**, Philadelphia: 1989, pp.267–276.

(53) Op. Cit., p.76.

(54) تقي الدباغ: المرجع السابق، ص 25.

* تل إبراهيم حالياً في الجزيرة السفلى بين النهرين، حوالي 50 ميلاً جنوب بغداد.

(55) – J., Black & A., Green: Gods "Demons & Symbols of Ancient Mesopotamia", **British Museum Press**, 1992, pp.135f.

(56) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص192–208.

(57) تقي الدباغ: المرجع السابق، ص22–24.

(58) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص197.

(59) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص187–188.

(60) Op. Cit., pp.135f.

(61) الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص 421-422 .

(62) الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص423.

(63) – Op. Cit., p.63.

(64) – Op. Cit. p.162.

(65) الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص422 – 423. وكذلك:

– Op. Cit., p.179.

(66) الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص423.

(67) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص352 – 353.

(68) الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص423–4.

(69) نظام القرابين في المجتمع السومري حسب نصوص ما قبل سرجون في لجش، ص27 – 33.

(70) – Op. Cit., pp.88f.

(71) هَبُّو، أحمد أرحيم: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط2، حلب: منشورات جامعة حلب، 1981، ص 353 – 355.

(72) بارو، أندريه: **بلاد آشور**، ترجمة وتعليق: د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد: 1980، ص132–133.

(73) موسكاتي، سباتينو: **الحضارات السّامية**، ص77، وللمزيد عن التعاويذ والكهان، ص78–79.

(74) ساجز، هاري: **عظمة بابل، موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ترجمة: د. عامر سليمان، بغداد: 1979، ص342–369.

(75) – Op. Cit., p.75.

(76) عظمة بابل، ص394.

(77) سليم، أحمد أمين: **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، مصر– العراق– إيران، بيروت: 1989. ص36 – 39.

(78) – Op. Cit., pp.128f.

(79) عظمة بابل، ص 341.

(80) الديانة، حضارة العراق، ج1، ص156.

(81) عظمة بابل، ص355.

(82) مكاوي، عبد الغفار: "جذور الاستبداد، قراءة في أدب قديم"، **عالم المعرفة** 192، الكويت: 1994، ص128–129 حاشية 41.

(83) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص183.

(84) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص158 - ANET., p.84.159

(85) محمد أحمد، إلهام: **السيطرة على رموز الشَّرِّ في مصر والعراق القديم منذ منتصف الألف الثاني حتى 332ق.م.، دراسة فنية مقارنة**، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآثار– جامعة القاهرة: 2017، ص8.

(86) علي عبد الواحد، فاضل: **العرافة والسحر، حضارة العراق**، ج1، بغداد: 1985، ص202، والسيطرة على رموز الشَّرِّ في مصر والعراق القديم منذ منتصف الألف الثاني حتى 332ق. م، ص8.

(87) العرافة والسحر، حضارة العراق، ج1، ص202–203.

(88) العرافة والسحر، حضارة العراق، ج1، ص203.

(89) الحُوفي، أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ط5، القاهرة: 1972، ص500.

(90) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص507.

(91) دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبيّة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، ص419.

(92) العلوم والمعارف، العلوم الطبية، حضارة العراق، ص330.

(93) السعدي، حسين عليوي: "البارو والأشيبو والآسو في بلاد الرافدين، دراسة مقارنة"، **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، مجلد22، عدد1، 2019، ص183–184.

(94) دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبيَّة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، ص168، وحاشية 1. .CAD, A.II,431a

(95) الديانة، حضارة العراق، ص194.

(96) Wilson J. V. Kinner: "Le Prosy in ancient Mesopotamia". **RA**.60. 1966, pp.47-58. – عن الجُذام في العراق.

(97) دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبيَّة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، ص87.

(98) دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبيَّة في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، ص94.

– R. C., Thompson. "Assyrian Prescriptions for the "Hand of Ghost"". **JRAS**. 1929, p.822.

(99) العلوم والمعارف، العلوم الطبية، حضارة العراق، ص331–332.

(100) العلوم والمعارف، العلوم الطبية، حضارة العراق ، ص332–333.

(101) بخور الآلهة، دراسة في الطب والسحر، ص154.

(102) العرافة والسحر، حضارة العراق، ص204.

(103) السيطرة على رموز الشَّرِّ في مصر والعراق القديم، ص11.

– M.J., Geller. **Ancient Babylonian Medicine, Theory and Practice, India**. 2010, p.30.

(104) العرافة والسحر، حضارة العراق، ص204.

(105) العرافة والسحر، حضارة العراق، ص204 – 205.

(106) البارو والأشيبو والآسو في بلاد الرافدين، دراسة مقارنة، ص185 – 188.

(107) العرافة والسحر، حضارة العراق، ص203–204.

(108) السيطرة على رموز الشَّرِّ في مصر والعراق القديم، ص12.

- Op. Cit., p.127.

(109) الطعَّان، عبد الرضا: **الفكر السياسي في العراق القديم**، ج1، ط1، بغداد: 1986، ص74.

(110) غزالة، هديب: **الدولة البابلية الحديثة**، 626–539 ق.م.، ط1، دمشق: 2001، ص207–208.

(111) بخور الآلهة، ص200. س. ن.، هوك: **ديانة بابل وآشور**، ترجمة: نهاد خياط، دمشق: 1978، ص133.